الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي

قسم العلوم الإنسانية
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية

صلة علم التفسير بعلم النحو
عند أبي حيان الأندلسي
سورة النور "أنموذجا"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية
تخصّص: علوم القرآن و التفسير.

إعداد الطالبات :

- ✓ خولة مهري
- ✓ نعيمة خضير
- ✓ نور الهدى غمام نواس

إشراف الأستاذ :
ميلود عمارة

السنة الجامعية : 1434-1435هـ/2013-2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــــــــــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل

إلى من أناروا بفيض حنانهم دربي وعلموني حتى أدركت معنى الحياة.

أمي وأبي.

ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا

إلى من قاسموني الأمل وساندوني في كل مشواري في طلب العلم

إخوتي وأخواتـــــي.

إلى كل من رافقني في المشوار حتى وصلت برفقهم أحلى النهايات، من زملاء وزميلات. خاصة طلبة علوم القرآن والتفسير

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

ملخص البحث

يتضمّن البحث دراسة للعلاقة والصلة القائمة بين التفسير وفهم القرآن الكريم والدراية بعلم النحو العربي، والمعنوّن ب" صلة علم التفسير بعلم النحو عند أبي حيان الأندلسي، سورة النور أنموذجاً"، حيث قُسّم مضمونه إلى فصلين الأول نظري يشمل مفاهيم عامة لعلم التفسير القرآني وعلم النحو، والفصل الثاني تطبيقي إجرائي منهجه تتبع توظيف واستخدام المفسر النحوي أبو حيان الأندلسي للقواعد النحوية في تفسيره لسورة النور، وقد خلصنا إلى عدة نتائج أهمها:

- متانة الصلة بين التفسير والأوجه النّحوية.
- لاسبيل لتفسير الآيات القرآنية إلا بفهمها نحوياً وبروز هذه العلاقة وتجليها عند أبي حيان الأندلسي خدمة للقرآن الكريم واللغة العربية.

وصلي اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

Summary

This research contains the study of the Relationship between the clarification and the understanding of the Koran and the knowledge of the Arabic syntax . It's entitled : " the relantion slip betwen the clarification of the Koran and the syntax at Abu Hyan for example sura of Ennour " It is derided into two chapters :

-the first one is theoretical which includes general concepts about the Koran clarification and the syntax .

-the second chapter is practical .Its method is the following up and the investment of the syntax rules by " Abu Hyan " for his clarification of "the sura of ennour "

-we have reached some important results :

1- the strong relation between the clarification and the grammar signification .

2- No way of a koranic verse clarification without understanding it grammatically.this relation is appeared at "Abu Hyan" It also appeared through the diligence of the specialists for working for the Koran and the Arabic language .

God's , the blessing and peace be upon Muhammad , his family and his companions .

مقدمـــــة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

حتى يتسنى للمسلمين الاقتباس من نور القرآن والعمل به منهجاً في الحياة، أوجب الله واجبات في حق هذا التنزيل منها العمل على حفضه في الصدور والمصاحف بتوفيق العناية الربّانية، ووجوب قراءته وترتيله على الوجه الصحيح الموافق لقراءاته المتواترة. سَنُلْقِي عَلَيْكَ أَسْمَ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ وَٱذْكُرِ [المزمل: 4]. والاجتهاد في فهمه وتدبره وتفسيره سَنُلْقِي عَلَيْكَ أَسْمَ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ [محمد: 24].

إن السعي في أداء هذه الواجبات وخدمة لكل ما تعلق بالقرآن الكريم من جميع الجوانب خاصةً اللّغوية منها لم يتوان المسلمون من العرب والعجم قديماً وحديثاً من الاهتمام بدراسة لغته على جميع مستوياتها، فبالموازاة مع كونه المصدر الأول للاستشهاد للعربية الفصحى، جاءت الدراسات اللغوية خادمة له، قراءة ورسماً، تفسيراً وتأويلاً حتى أُثري الدّرس اللّغوي بجليل المباحث النّحوية والبلاغية التي شكّلت همزة وصل بين الدرس اللغوي وقضايا التّفسير القرآني. وكذا المباحث المعجمية أيضا؛ إذ ارتبطت جهود جمع اللغة العربية بشرح غريب القرآن وتفسير معانيه. فمنطلق كل هذه الدّراسات ومبعثها، هو فهم القرآن الكريم والسّنة النّبوية، وذلك مع بداية ضعف السليقة العربية وظهور اللّحن نتيجة الفتوحات، قال ابن آجُّروم (723ه) في الآجروميَّة:

« وكان مطلوبا أشدَّ الطلب من الورى حفظ اللّسان العربي
كي يفهموا معاني القرآن والسّـنة الدّقـيقة المـعاني»[1].

اللّغة هـي الأداة الوحيدة لإظهار تنوّع أساليب القرآن الكريم ووجوه إعجازه البلاغي وكذالك لها الدور في استنباط الأحكام الشرعية منه واستخراج ما فيه من الحكم والفوائد بحيث وأنت تستقرأ العلوم والآلات التي يُحتاجُ إليها للقيام بالعملية التفسيريّة تجد أن اللّغة

1- أبو عبد الله محمد بن آجُّروم، متن الآجروميَّة، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2002م، ص4.

تتصدر هذه العلوم، فمثلاً المفسر أبو حيان الأندلسي (745ه) في معرض حديثه عن العلوم التي يحتاج إليها المفسر ذكر الثَلاثة الأوجُه الأولى لغويّة من نحوٍ وتصريف وغيرها من العلوم العربية الأخرى، هذا وإن دلّ على شيئٍ إنما يدل على ضرورة علوم اللسان لمن أراد أن يتبحر في التفسير.

و في إطار البحث وضمن الدراسات المتعلقة بالقرآن وضمن المباحث الأهم فيها والتي تبحث في فهم النص القرآني وتستثمر جميع العلوم لبيان ذلك ألا وهو علم التفسير والذي يجب على المفسر فيه أولاً أن يعرف علوم اللغة أتم معرفة إذ هو القرآن المبين المنزل على أفصح العرب أجمعين، ولعل أمتن روابط علم التفسير بعلوم اللغة العربية يتجلى في المستويات النحوية والإعرابية ف« كما يتوقف الإعراب على المعنى فان المعنى أيضاً يتوقف على الإعراب، ومن ثم عدَّ العلماء معرفة المعنى أهم فوائد إعراب القرآن، وعدّوا إعراب القرآن أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية »[1]، والنحو كغيره من العلوم العربية من آكد شروط المفسر فإن ما يتحصل أن يُرى هذا الشرط في كتب التفسير، ولتتبع مدى إسهام الدراسات القرآنية في الدرس النحوي وجهود علماء التفسير في تنميته و توظيفه في التفسير قديماً و حديثاً من خلال التأليف والتصنيف النحوي من جهة ومن خلال مساعيهم التفسيرية في فهم القرآن الكريم نحوياً من جهة أخرى، ولبيان الصلة القائمة بين علم النحو ومباحث التفسير، نشأت فكرة هذا البحث واخترنا موضوعنا المبني من فرضية أن للتفسير علاقة كبيرة بفهم النحو و الموسوم ب"صلة علم التفسير بعلم النحو، عند أبي حيان الأندلسي سورة النور أنموذجًا"، بحيث كان تطبيق الدراسة على المفسر النحوي أبو حيان الأندلسي في تفسيره لسورة النور.

وكان اختيارنا للمفسّر النّحوي أبو حيان كنموذج على مستوى الجانب التطبيقي لسببٍ موضوعي لا ذاتي كونه– رحمه الله – عَلَمٌ فذٌ متبحّر في علوم اللغة، جمع بين فنّي النحو والتفسير وَظهر ذلك جلياً في تفسيره "البحر المحيط" فالقارئ لتفسيره كأنه يقرأ كتاب نحوٍ لا تفسير.

ولعل متانة هذه الصلة تكمنُ في جانب الأحكام الشرعيّة وكيفية استنباطها بذلك كان اختيارنا لسورة النور التي تحوي الكثير من الأحكام الشرعيّة، وكل ذلك سعياً إلى تبيين الرابطة بين تفسير القرآن وعلم النحو كهدف أساسي للبحث.

لقد أولى الباحثون سواء في مباحث اللغة أو التفسير عنايتهم الفائقة بالبحر المحيط وَوَضح ذلك من خلال الكثير من الدراسات التي أُجريت حوله مما يسّر علينا مهمة البحث، وفي حدود البحث تمَّ الإطلاع ثلاث دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع وهي:

الدراسة الأولى: عنوانها "الدراسات النحويّة واللغويّة في البحر المحيط"، وهي بحث أنجزه عبد العزيز بن مطلك الدميلي لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية.

الدراسة الثانية: "اللغات العربية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي – الجانب النحوي –" وهي بحث تقدمت به الباحثة دينا محمد بن حمود لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية.

الدراسة الثالثة: هي كذلك رسالة ماجستير لأحمد خالد شكري عنوانها "أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وإيراد القراءات فيه"، ومضمونها كلها حول المفسر أبي حيان ومدى ربطه بين فهم القرآن وعلوم اللغة العربية.

منطلقين في ذلك من الإشكاليات الآتية:

- ما هي الصلة القائمة بين علمي التفسير القرآني والنحو العربي؟.
- ما مدى استثمار أبي حيان للقواعد النحوية في تفسيره "البحر المحيط"؟.
- ما مدى جهود المفسرين قديماً وحديثاً لإظهار هذه الصلة؟.

وللتوصل إلى الإجابة على إشكاليات البحث اعتمدنا على خطة مبناها أساساً على مقدمة وفصلين وخاتمة، بحيث:

الفصل الأول نظري بعنوان "التفسير القرآني وعلم النحو" ويتضمن مفاهيم عامة للتفسير والنحو، وكذلك مدى الارتباط بينهما.

أما الفصل الثاني تطبيقي بعنوان "توظيف أبي حيان لقواعد النحو في تفسير سورة النور" ويتضمن نبذة عن حياة المفسر والتعريف بتفسيره، وكذلك كيف فسر أبو حيان سورة النور تفسيراً نحوياً. وخاتمة اشتملت على أهمِّ نتائج واستخلاصات البحث.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع من كتب التفسير وعلوم القرآن وكتب اللغة والتراجم نذكر أهمها: "تفسير البحر المحيط لأبي حيان" وهو

مصدر الدراسة، "الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي" و"القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية لسالم مكرم عبد العالي" و "الخصائص لابن جني".

إن الدراسة النظريّة التطبيقيّة هي التي تُحدِّدُ المنهج المتبع، فكان منهج البحث هو المنهج الوصفي، الاستقرائي التحليلي، بحيثُ الوصفي في الجانب النظري و الاستقرائي التحليلي في الجانب التطبيقي من خلال استقراء تفسير السورة وتحليلها.

وقد واجهتنا عراقيل وصعوبات خلال مدة انجاز البحث أهمها:

- صعوبة بناء خطة متوازنة للموضوع.
- ثراء المادة العلميّة وعدم سهولة التنسيق فيما بينها كون الدراسة تمْزُج بين عِلمين مُتشعِبين.

وبحمد الله سبحانه وتعالى تمَّ تذليّل الصعوبات وبناء الموضوع.

وبالله التوفيق.

[1]– يوسف بن خلف العيساوي، علم إعراب القرآن تأصيل وبيان، دار الصميعي، السعودية، ط1، 2007 م، ص75.

الفصل الأول

التّفسير القرآني وعلم النحو

أولا: مفاهيم عامة للتفسير القرآني

1. **تعريف التفسير**
2. **تعريف التأويل**
3. **أهمية التفسير والحاجة إليه**
4. **نشأة التفسير**
5. **أنواع التفسير وأقسامه**
6. **مصادر التفسير**

ثانيا: مفاهيم عامة لعلم النّحو

1. **تعريف النحو**
2. **أهمية النحو وضرورة معرفته**
3. **نشأة النحو**

ثالثا: حاجة التفسير القرآني للدراية بعلم النّحو

حتى يَتبيّن لنا مدى العلاقة القائمة بين علمي التفسير والنّحو لابد من التطرق إلى المفاهيم اللّغوية والاصطلاحية المتعلقة بكل منهما:

أولا: مفاهيم عامة للتّفسير القرآني

1- تعريف التّفسير:

التّفسير لغة من مادة " فَسَّرَ "، وتَدُلُّ علَى بيَانِ الشَّيْء وإيضاحِهِ، ومن ذلك الفَسْرُ والتّفْسِرة. والفَسْرُ هو البيان وكشف المغطى[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: 33] «أيّ الوضوح والبيان التّام في ألفاظه»[2].

ويقال هو مقلوب السَّفْر، تقول أسفَرَ الصبح إذا أضاء، يقال أسفَرتِ المرأة إذا ألقت خمارها عن وجهِها[3]، «وهذا القول ليس بالسّديد؛ لأنّ الأصل أنّ يكون للّفظة ترتيبها ودعوى القلب خلاف الأصل»[4]، قال الراغب الأصفهاني (502ه) : « لكن جعل الفَسْرُ لإظهار المعنى المعقول»[5]، فمن خلال ما تقدّم يتّضح أنّ مادة فَسّرَ تدّل في اللّغة على معنى البيان والكشف والإيضاح.

أمّا في الاصطلاح، فقد عرّفه كثير من العلماء والمفسّرين، منهم ابن جزي الكلبي(741ه)[6]، إذ يقول: « ومعنى التّفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو فحواه »[7]. ويعرّفه أبو حيان الأندلسي (745ه) بأنّه « علم

---

1 - ينظر: محمد بن مكرّم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414ه، مادة فسر، وأحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، مادة فسّر.

2 - ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003م، ص553.

3 - ينظر: الرّاغب الأصفهاني، تفسير الرّاغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، طنطا، ط1، 1999م، ج1، ص10.

4 – مساعد الطيار، مفهوم التّفسير والتأويل والاستنباط والتّدبر والمفسّر، دار ابن جوزي، ط2، 1427ه، ص53.

5 – الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، ج1، ص10.

6 – هو محمد بن أحمد أبو القاسم (693–741ه)، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، له مؤلفات كثيرة أهمها: وسيلة المسلم، التسهيل لعلوم التنّزيل.(خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص325).

7 – محمد بن أحمد ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالي، دار الأرقم، بيروت، ط1، 1416ه، ج1، ص15.

يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتّركيبية ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتّمات لذلك »[1]؛ أي معرفة كل ما يتعلق بالآيات القرآنية من نطق وتركيب وغيرها، قصد الوقوف على معانيها، وتبيين أحكامها ومقاصدها، وقد تناوله بالشّرح والتّفصيل في مقدّمة تفسيره " البحر المحيط ".

وقد بيّن الزّركشي (794ه) في تعريفه للتّفسير ما يحتاجه المفسّر من علوم والمعارف، منها ما يتعلق بالمأثور المنقول، كأسباب النزول والقراءات، ومنها ما يتعلّق بعلوم اللّغة كالنحو والبلاغة، وذلك في قوله: « هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزّل على نبيّه صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويَحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ »[2]، كما عرّفه في موضع آخر تعريفا أكثر إجمالا بقوله: « هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّتها ومدنيّها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّتها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسرها »[3]. ويعني هذا أنّ تمام التّفسير هو ما يتعلّق بالآية مما يوجب المعرفة والدّراية.

2- تعريف التأويل:

التّأويلُ في اللّغة من الأوْلُ؛ أيّ الرجوعُ إلى الأصل، ومنّه المَوْئِلُ للموضع الذي يُرجَعُ إليه[4].

وفي الاصطلاح له معنيان، الأول: بيان مراد المتكلّم، وهذا ما يدور حوله معنى علم التّفسير[1]، وقد استعمل هذا المعنى ابن جرير الطبري في تفسيره كما في قوله: " القول

---

1 – أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص121.

2 – بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م، ج1، ص13.

3 – المصدر نفسه، ج2، ص148.

4 – ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412ه، كتاب الألف.

القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا "، وقوله: " اختلف أهل التّأويل في هذه الآية "، فإنّ مراده التّفسير[2]. والثاني: الموجود الذي يُؤَوَلُ إليه الكلام؛ أيّ ظهور المتكلم به إلى الواقع المحسوس، فإنّ كان خبرا كان تأويله وقوع المخبر به، أي؛ تحقّق هذا الخبر كمن يقول: جاء فلان فتأويلُه مجيئه. وهذان المعنيان هما الواردان في القرآن والسّنة وتفسير السلف واللّغة[3].

ذهب أغلب الباحثين في علوم التّفسير إلى التّفريق بين التفسير والتّأويل، وإن تُوهِّمَ أنّهما يحملان معنى واحد لكنَّهُما في حقيقة الأمر يختلفان: فالتّأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه؛ فالتّأويل والتّفسير على هذا متقاربان. وإذا قلنا: أنّ التّأويل هو نفس المراد بالكلام، فتأويل الطلب نفس الفعل المطلوب، وتأويل الخبر نفس الشيء المخبر به. فعلى هذا يكون الفرق كبيرًا بين التّفسير والتّأويل؛ لأنّ التّفسير شرحٌ وإيضاح للكلام، ويكون وجوده في الذهن بتعلّقه، وفي اللّسان بالعبارة الدّالة عليه[4]. ويمكن ذكر بعض الفروق الفاصلة بين التّأويل والتّفسير في النقاط الآتية:

- التّفسير ما وقع مُبيّنا في القرآن الكريم أو مُعينا في السنة النبويّة؛ لأنّ معناه قد ظهر ووضح، والتّأويل ما كان من استنباط العلماء، لذا قال بعضهم التّفسير ما يتعلق بالرّواية، والتّأويل ما يتعلق بالدّراية[5].
- التّفسير للصحابة رضي الله عنهم، والتّأويل للفقهاء، ومعنى ذلك أنّ الصحابة شهدوا المشاهد وعاصروها وعلموا ما في القرآن من أسباب النزول[6].
- التّفسير ذو وجه واحد، والتّأويل ذو وجوه[7].

---

1 – ينظر: مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص91.

2 – ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط3، 2000م، ص336.

3 – ينظر: مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص91 – 92.

4 – ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص319.

5 – ينظر: المرجع نفسه، ص319.

6 – ينظر: محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، ج1، ص349.

7 – ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص349.

- التّفسير أعمّ من التّأويل وأكثر ما يستعمل (أي التفسير) في الألفاظ، كالبَحيرة والسائبة والوصيلة، أو في وجيز يُبيَّنْ ويُشْرَح. أما التّأويل فيستعمل أكثر في المعاني، مرة عاما، ومرة خاصا، نحو الكُفْر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة[1].

من خلال ما سبق يتبيّن أنّ التّفسير مفهوم شامل لاستثمار جميع ما يتعلّق بالنّص القرآني من سياق، كسبب النّزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، أمّا التّــأويل غالبا ما يكون انطلاقا من الوقوف على المعاني الظاهرة، وتأوّل ما يمكن أن تدلّ عليه، لذلك ارتبط التّأويل أكثر بالجانب اللّغوي للتّفسير، قال الزُرقاني: « والتّأويل مرادف للتّفسير في أشهر معانيه اللّغوية »[2].

3- أهمّية التّفسير والحاجة إليه:

لمّا كان التّفسير متعلقَا بكتاب الله من حيث شرحه وفهمه واستخراج ما فيها من العبر والفوائد، اكتسب هذا العلم قداسة ورفعة؛ إذ له الأهميّة البالغة والشرف العظيم لشدة الاحتياج له. قال الراغب الأصفهاني:" أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، بيان ذلك أنّ شرف الصناعة بشرف موضوعها أو بشرف صورها أو بشرف غرضها. وبذلك حازت صناعة التّفسير الشّرف من الجهات الثلاث؛ أما من جهة الموضوع فلأنّ موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضله، وإما من جهة صوره فالقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه وأسراره التي أودعــها منزلُه فيــه"، قــال تعالى: كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ [ص: 29] . أمّا غرضه فهو التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والوصول للسعادة الحقيقية التي لا فناء لها[3].

---

1 – ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، ج1، ص10.

2 – عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م، مجلد2، ص7.

3 – ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني، ، ج1، ص36.

ومن فوائده كذلك: التذكّر والاعتبار، ومعرفة هداية الله تعالى في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، ليفوز الأفراد والمجاميع بخيرَي العاجلة والآجلة. ويتبيّن أيضا أنّ هذا العلم من أشرف العلوم الدّينية والعربيّة؛ بل هو أشرفها جميعا، وذلك لسُموِّ موضوعه وعِظَم فائدته[1].

4- نشأة التّفسير وتطوره:

بدأ الاهتمام بالتّفسير منذ عصر النّبوة حيث كان النّبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ أول شارح لكتاب الله، يُبين للناس ما نزّل عليه وعلى من قبله. أما صحابته الكرام فما كانوا يجرؤون على تفسير القرآن وهو عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يتحمل هذا العبء العظيم، ويؤديه حقّ الأداء[2]. ومثاله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]. شَقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسُول الله أيُّنا لا يظْلم نفسه. قال: « ليس ذلك، إنّما هو الشرك، ألمْ تسمعُوا ما قال لُقمان لابنِهِ وهو يَعظُه: يا بُنيَّ لا تُشْرك باللهِ إنّ الشّركَ لظلمٌ عظيم »[3].

لمّا لحِق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرّفيق الأعلى لم يكن بدّ للصحابة العلماء بكتاب الله الواقفين على أسرارهم المهتدين بهدي النّبي صلى الله عليه وسلم من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علموه، وتوضيح ما فهموه، والمفسّرون من الصحابة كثيرون، إلاّ أنّ مشاهيرهم عشرة الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري، وعبد الله ابن الزبير، أمّا الخلفاء فأكثر من رُوي عنه: منهم

---

1 – ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مجلد2، ص09.

2 – ينظر: صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000م، ص289.

3 – أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه، باب قول الله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ لُقْمَٰنَ [لقمان: 12]، ج4، ص163.

علي بن أبي طالب، أما الخلفاء الثلاثة الآخرين فالرّواية عنهم نادرة جدًا، وكأنّ السبب في ذلك تقدّمْ وفاتُهم[1].

وأجدر هؤلاء العشرة جميعا بلقب المفسّر: هو عبد الله ابن عباس، الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم ودعا له بقوله: « اللَّهُم فَقهْهُ في الدّين وعَلّمه التّـــأويل »[2]. وسمّاه ترجمان القرآن، وتلقى أقوال الصحابة نفر من كرام التّابعين في الأمصار الإسلامية المختلفة فنشأت في مكة طبقة للمفسّرين، وفي المدينة طبقة ثانية، وفي العراق طبقة ثالثة وباقي الأمصار، وعن التّابعين أخذ تابِعوُ التّابعين فجمعوا أقوال من تقدّمهم وصنفوا التّفاسير، كما فعل سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج وغيرهم...، وكانوا بذلك إرهاصًا لابن جرير الطبري(310ه) الذي نقل عنه الكثير من المفسريّن من بعده[3].

وبعد ذلك اتّجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة، فكان ما يسمى " التّفسير بالمأثور"*، وهو امتداد للتّفاسير السّابقة المسندة إلى الصحابة والتّابعين وتابعيهم. وظهر "التّفسير بالرأي"، وفيه تعدّدت المناهج وتضاربت الأفكار، فحُمد بعضه وذُمّ بعضه تبعا لقربّه من هداية القرآن أو بعده عنها[4]. ثمّ شهد تدوين التّفسير مرحلة جديدة، وهي مرحلة التّفاسير التي يغلب عليها الطابع الاجتهادي لعلماء برعوا في مجالات مختلفة من العلوم فكان منهم من يقتصر في تفسيره على العلم الذي يغلب عليه كلٌ حسب اتجاهه، فالفقيّه يسرد المسائل الفقهيّة ويُفرِّع عليها فروعاً كثيرة. والإخباري يهتم بإيراد القصص والنحوي يبرز الصناعة النحويّة، وصاحب البلاغة يُظهر الجانب البلاغي والإعجاز البياني، وهكذا[5].

---

1 – ينظر: صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص289.

2 – أخرجه: أحمد بن حنبل، المسند، باب مسند عبد الله بن عباس، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، ج4، ص225.

3 – ينظر: المرجع نفسه، ص289.

* – للاستفادة أكثر ينظر: مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص19.

4 – ينظر: المرجع نفسه، ص291.

5 – ينظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد، السعودية، ط2، 2009م، ص07.

وكان منهم من جمع في تفسيره عدَّة علوم لها تعلُّق بالقرآن الكريم، وبعض هؤلاء المفسّرين من أهل السّنة والجماعة، وبعضهم من غيرهم من ذوي المعتقدات المبتدعـــــة. ومع تنوُّع اتجاهات التّفسير ـ بعد عصر الصحابة ـ فُسِّر القرآن الكريم بآراء تخالف ما صحَّ من تفسيره، أو تُصادم قواعد التّفسير وأصوله، ووقع الخطأ في تفسير كلام الله تعالى، ممَّا أدى إلى البعد عن هداية القرآن وإعجازه[1].

« فبعد أن كانت الخطوة الأولى وهي النقل عن طريق التّلقي والرّواية كانت الخطوة الثانية له؛ وهي تدوينه على أنّه باب من أبواب الحديث. ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهي تدوينه على استقلال وانفراد. فكلّ هذه الخطوات تمّ إسلام بعضها إلى بعض، بل وظلّ المحدّثون بعد هذه الخطوة الثالثة يسيرون على نمط الخطوة الثانية من رواية المنقول من التّفسير في باب خاص من أبواب الحديث، مقتصرين في ذلك على ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة أو عن التابعين »[2].

5- أقسام التّفسير:

يُقسم التفسير بعدّة اعتبارات ولكل اعتبار مدلول في هذا التقسيم، أقسام التفسير باعتبار معرفة الناس له أربعة أقسام وباعتبار طريق الوصول إلينا قسمان:

أ- باعتبار معرفة الناس له:

ذكر الطبري ما رُوي عن ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنهما أن التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى[3]، فالوجه الأول كون القرآن نزل بلغة العرب فهو ما يعرف من اللسان العربي، والثاني ما كان متعلقاً بأمور الشرع كالعقائد وأمور التوحيد والأحكام وأما الثالث ما يعلمه العلماء والراسخون في العلم والمجتهدون والرابع ما استأثر الله به علمه سبحانه وهو ما كان محتسباً في عداد الغيب وعداد المشكل

---

1 – ينظر: المرجع نفسه، ص07.

2 – محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، ص105.

3 – ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ج1، ص75.

والذي لا يقف على تفسيره[1]، قال تعالى﴿كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:39]، وقال تعالى﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران:7].

ب- باعتبار طريق الوصول إلينا:

ينقسم إلى تفسير بالمأثور وهو ما تعلّق بالرّواية وتفسير بالرأي وهو ما تعلق بالمعرفة والدّراية :

- **تفسيرٌ بالمأثور:** هو ما كان في القرآن وفي السنة النبويّة وفي أقوال الصحابة تفسير للقرآن الكريم،[2] مع مسألة الأخذ عن التابعين ففيها خلاف بين العلماء.

والتفسير بالمأثور عن السلف على نوعين ما كان من المنقول المحض الذي لا يمكن أن يرد فيه اجتهاد، ويشمل تفسيرات النبي صلى الله عليه وسلم وأسباب النزول وقصص الآي والغيبيات، وما كان لهم فيه اجتهاد ورأي؛ والرأي الوارد عنهم فهو من قبيل الرأي المحمود؛ لأنهم لم يتكلموا في القرآن بغير علم ولم يكن لهم هوى مذهبي، وكانوا على علمٍ بما يفسرون رضي الله عنهم وأرضاهم[3].

- **تفسيرٌ بالرأي:** وهذا ما جاء بعد الصحابة من التفسير، فما كان منه مبنيٌ على علمٍ فهو من الرأي المحمود، وما كان ينحازُ لمذهبٍ باطل ومبتدع ضال كالصوفيّة والمعتزلة والرافضة وغيرهم فهو من الرأي المذموم[4]. قال السيوطي: « لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصلٍ »[5]

6- مصادر التّفسير:

التّفسير كعلم من العلوم لا بدّ له من أُسس ومصادر يعتمد عليها فمصادر التفسير المقصود بها هي: «المراجع الأوليّة التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله »[6]،

---

1 – ينظر: أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ط2، 1988م، ص145-153.

2 – ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ج2، ص12.

3 – ينظر: مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص29-31.

4 – ينظر: المرجع نفسه، ص29 ـ 31.

5 – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 2003م، بعناية: خالد العطار، ج2، ص553.

6 – مساعد الطيار، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، دار المحدث، السعودية، ط1، 1425ه، ص127.

وهي خمسة مصادر أطلق عليها الزركشي اسم مآخذ التفسير[1] وسماها ابن تيمية أحسن طرق التّفسير وذكر أربعة منها فقط[2]، وهذه المصادر مرتبة كالآتي:

أ- القرآن الكريم:

وهو أول مصدر لبيان تفسيره لأنّ الله تعالى هو الذي تكلّم به وأنزله وهو أعلم بما أراد، فإن تبيين مراده منه لا يُعدل عنه إلى غيره[3]، ولذلك أمثلة منها: قوله تعالى:كَذَّبُواْ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ لَمَّا [يونس: 62] . فقد فسّر قوله مُوسَى كَذَّبُواْ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَمَّا بقوله في الآية التي تليها، ءَاتَيۡنَا مُوسَى كَذَّبُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَمَّا[يونس: 63]، وبهذا المنهج نحا المفسر محمد الأمين الشنقيطي في كتابه " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " فسّر قوله تعالى: كَذَّبُواْ مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ لَمَّا [الفاتحة: 7] ، بقوله تعالى: كَذَّبُواْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ لَمَّا [النساء: 69] [4].

ب- النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يُفسر القرآن الكريم بالسّنة النّبوية لأنّ رسول الله مبلغ عن ربّه تعالى فهو أعلم بمراد الله من كلامه وذلك بكون السنة شارحة للقرآن وجاءت مفصّلة لما أجمل فيه، نذكر على سبيل المثال قوله تعالى :كَذَّبُواْ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ لَمَّا [يونس: 26]، فسّر النبي صلى الله عليه وسلم الزّيادة بالنّظر إلى وجه الله فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

---

1 – ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص152.

2 – ينظر: تقي الدين بن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، مكتبة الحياة، بيروت، 1980م، ص9.

3 – ينظر: مساعد الطيار، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، ص127.

4 – ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1955م، ج1، ص8. ص8.

صريحا من حديث أبي موسى وأُبي بن كعب، ورواه جرير من حديث كعب ابن عَجْرة في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث قال فيه: « فيُكْشف الحجاب فما أُعطُو شيئاً أحبُّ إليهم من النّظر إلى وجهِ ربِهم عزّ وجل »[1]، ثم تلى هذه الآية[2].

ج-النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم:

فسّر الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم لاسيما ذو العلم منهم والعناية بالتّفسير؛ لأنّ القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم، ولأنّهم أصدق الناس بعد الأنبياء وأدرى بأسباب التّنزيل وأسلمهم من الأهواء يفهمون القرآن بالسليقة، وكلام التّابعين الذين اعتنوا بأخذ التّفسير عن الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنّهم خير الناس ممن بعدهم ولم تكن العربية قد تغيّرت في عصرهم، وأسلم من البدع ممن بعدهم[3]، قال ابن تيمية: « من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كله كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا وان كان مجتهدا مغفور له خطؤه..، فمن خالف قولهم وفسّر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدّليل والمدلول جميعا »[4] ومن أبرز المفسّرين الذين كتبوا في هذا التّفسير ابن جرير الطبري وابن كثير.

د- الأخذ بمطلق اللغة:

اللّغة العربية تعتبر مصدر مهّم من مصادر التفسير؛ لأنّ القرآن نزل بلسان عربي مبين، قال تعالى:﴿كَذَّبُوا۟ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: 3]. وهذا ما نلاحظه عندما يذكر المفسرون وعلماء القرآن الآلات التي يحتاجها المفسر أو مؤهلاته تكون اللغة من آكد الشروط، فابن عاشور مثلاً عند كلامه عن استمداد علم

---

1 – أخرجه: مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة، ج1، ص163.

2 – ينظر: محمد بن صالح العثيمين، أصول في التفسير، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية ط1، 2001، ص25.

3 – ينظر: المرجع السابق، ص26.

4 – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، 1995م، ج13، ص361-362.

التفسير قدم اللغة العربية على علم الآثار والعلوم الأخرى، هذا وإن دل على شيء إنّما يدل على أولوية اللغة[1]. « ينبغي الأخذ ببعض التّحفظ من إطلاق الأخذ باللّغة، لأنّ مثل هذا الاطلاق، كثيرا ما يقود إلى الشّطط في الفهم والمآل، ولذلك إذا كان الأخذ بإطلاق اللّغة يصرف الآية عن ظاهرها إلى معاني خارجة محتملة لا يدلّ عليها إلا القليل من كلام العرب ممّا لا يوجد في الغالب إلا في الشعر»[2].

إذا كانت اللغة من آكد شروط المفسر فإنّما يتحتّم أن يرى هذا الشرط في كتب التّفسير، ومن أشهر هذه الكتب تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وهي ما تسمى بالتفاسير اللّغوية.

هـ – التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب* من قوة الشرع:

أيّ أنّ المفسّر يستمد في تفسيره للقرآن إلى ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية واللغوية، مما هو مبني على قوة الشرع، والمراد بالتّعبير عن هذا الصدر هو ما أن يستند المفسّر إلى ما يؤتاه من فهم ذاتي في القرآن على سبيل القدرة الموهوبة بتوفيق من الله سبحانه[3] وذلك ما دعا به النّبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: « اللّهُم فقِهُ في الدّين وعلّمه التّأويل »[4] قال ابن عثيمين (1419ه) رحمه الله: « فإنّ اختلف المعنى الشّرعي واللّغوي أخذ بما يقتضيه الشّرعي؛ لأنّ القرآن نزل لبيان الشّرع لا لبيان اللّغة، إلا أنّ يكون هناك دليل يترجّح به المعنى اللّغوي فيؤخذ به »[5].

ثانيا: مفاهيم عامة لعلم النّحو

1- تعريف النّحو:

---

1 – ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، 1997م، ج1، ص18.

2 – أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ص152.

* – القَضْبُ: القطع أي؛ المُقتَضبْ المُقتَطعْ.(ابن منظور، لسان العرب، مادة قضب، ج1، ص678).

3 – ينظر: أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ص152.

4 – سبق تخريجه، ص7.

5 – محمد بن صالح العثيمين، أصول في التفسير، ص27.

النّحو في اللّغة من مادة " نَحَا "، ومنّه نحوتُ الشّيء، وأنْحُو نحوًا، إذا قصدّته. ومنّه النّحوُ في الكلام، كأنّه قصدٌ للصواب[1] والنّحوُ القصد والطريق[2].

أمّا اصطلاحا فالنّحو هو: «انتحاء سمتُ كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتّثنية والجمع، والتّحقير والتّكسير، والإضافة والنّسب والتّركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإنّ شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها»[3].

2- أهمّية علم النّحو وضرورة معرفته:

علم النّحو من علوم اللغة المهمّة جداً لما فيه من الفوائد الكثيرة، فمن فوائده تقويم اللّسان وتقويم البنان؛ أيّ تقويم اللّسان عند النّطق وتقويم البنان عند الكتابة. والنّطق وإنّ كان النّاس يتخاطبون فيما بينهم باللّغة العاميّة فيعذرون؛ لأنّك لو أردت أن تخاطب العامي باللّغة العربيّة الفصحى لقال: هذا رجل أعجمي! لأنّه لا يفهم اللّغة العربيّة الفصحى، إلا من ندر، لكن الكتابة التي يكون بالنّحو تقويمها هي المهمّة بالنسبة لطلبة العلم؛ لأنّ بعض الطلبة يكتب ما يكتب من الجواب على الأسئلة أو البحوث فتجد عنده من اللّحن ما تكاد تقول: إنّه في أوّل الدّراسة، مع أنّه قد يأخذ الشّهادة العالية بعد شهر أو شهرين، وهذه محنة لما نعيشها اليوم. وبعض الطلبة إذا تكلّم في الحديث أو تكلّم في الفقه أو في التّفسير وجدت كلامه جيداً، لكن عندما يكتب تجد عنده أخطاء. يعين النّحو على فهم الكتاب والسّنة؛ وهذا هو الأهم لأنّه يُعرف به الفاعل من المفعول به، ويعين كذلك على فهم المعنى. فكم من آية اختلف المعنى بإعرابها. فمثلاً قال تعالى: ﴿كَذَّبُواْ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:6]، وفي قراءة (وأرجلِكم) فيختلف المعنى باختلاف الإعراب. فأنت إذا فهمت النّحو أعانك على فهم المعنى، حتى تُنَزّل الآيات والأحاديث

---

1 - ينظر: محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، مادة نحا، ج1، ص512.

2 – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص27.

3 – عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصريّة العامة، ط4، ج1، ص35.

على المراد بها[1]، ومن أهمّ فوائده إحياء اللّغة العربيّة الفصحى، ولاشكّ أنّ إحياءها وانتشارها بين الناس، يؤدي إلى تسهيل فهم كتاب الله سنّة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم على كثير من الناس وهذا ما نَصبُو إليه[2].

3- نشأة علم النّحو:

اكتنف الغموض في نشأة النّحو وتطوّره حتى قيل: « لقد شقي الكثير منا بالدّرس النّحوي بسبب عدم وضوح هذه المادة في الموروث القديم الذي ما فتئنا لا نجد السبيل إلى فهمة وتيسيره وكأنّنا آمنا أنّ هذا الموروث شيء لا يأتيه الباطل من بين يديّه ولا من خلفه »[3]. وقد كان اللّحن هو الباعث الأول على تدوين اللّغة وجمعها وعلى استنباط قواعد النّحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير خطرٍ هبّ على صوته أولوا الغيرة على العربيّة والإسلام[4].

لهذا وذاك، أهابت العصبيّة العربيّة بالعلماء في الصدر الأول الإسلامي أن يتَصدّوا لهذا السيل الجارف الذي كاد يكتسح اللّغة العربيّة بما قذف فيها من لحن تسرّبت عدواه إلى القرآن الكريم والسّنة الشريفة بما هدوا إليه وسموه " علم النّحو " غير أنّهم لم تتّفق كلمتهم على نوع السبب المفضي إلى وضعه[5].

اختلفت الرّوايات عن المتقدّمين فيمن أشار بالنّحو ومن ابتدأ وضعه وكثُر الحديث في ذلك، فمنهم من قال: إنّ علي بن أبي طالب أول من وضع النّحو، وأنّه بعث إلى أبي الأسود الدؤلي (67ه) بصحيفة فيها "بسم الله الرّحمن الرّحيم، الكلام كلّه اسم وفعل

---

1 – ينظر: محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، دروس صوتّية تفريغ موقع الشبكة الإسلامية، الدرس70.

2 – ينظر: المرجع نفسه، الدرس70.

3 – إبراهيم السامرائي، المدارس النحويّة أسطورة وواقع، دار الفكر، عمان، ط1، 1987م، ص5.

4 – ينظر: سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو العربي، مكتبة الفلاح، مصر، ص8.

5 – ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحّو وتاريخ أشهر النحّاة، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص18.

وحرف... " وأمره بتكميله، ومنهم من قال إنّ أبا الأسود هو الذي ابتدأ هذا العمل بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

إن الرّوايات تختلف بوضع النحو باختلاف السّبب في ذلك لكن اغلبها وإن لم تكن كُلها تُرجِّح أنَّ أبا الأسود هو من بدأ ذلك بنفسه، « ومهما قيل فمن المؤكد أنّ أبا الأسود هو الذي بدأ هذا العمل سواء كان بإشارة علي أم عمر أم زياد أم بتفكيره هو وإنّه لم يبدأ بما قيل من تقسيم، والأقرب أنّ أبا الأسود بدأ بوضع نقط فوق الحروف لتقوم مقام الشّكل الذي نعرفه اليوم، وبعض الضوابط التي تحفظ من الخطأ في كتاب الله»[2].

عاصر أبا الأسود وأخذ عنه وتدارس معه مسائل النّحو كثير من العلماء منهم: نصر بن عاصم الليثي (89ه) ، وعبد الرحمن بن هرمز (117ه) ، ويحيّ بن يعمر (129ه) وغيرهم، ثمّ جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (175ه) فعكف على دراسة هذا العلم، وأخذ يخترع ويستنبط الأصول من الفروع، وكان له الفضل الأول في إرساء قواعده ومسائله،ولم يؤلف في ذلك كتابا، وإنّما أوحى بعلمه ونتائج بحوثه إلى تلميذه سيبويه (180ه) ، فجمع ذلك وضمَّ إليه كثيرا من أقوال علماء عصره ومن سبقهم وما سمعه بنفسه عن العرب، ورتبه وبوّبه وبسّطه على النّحو الذي نعرفه الآن، وألّف فيه كتابه المعروف وقد حاز هذا الكتاب ثقة العلماء بعده فتناولوه بالشّرح والإيضاح، وأصبح لفظ " الكتاب " إذا أُطلق لا ينصرف إلا إلى كتاب سيبويه، والواقع أنّ ما أُلف بعده مبنيٌ عليه، ومستّمد منه، ولا يزال المرجع في كثير من مسائل النّحو إلى الآن[3].

ثالثا: حاجة التفسير القرآني للدراية بعلم النحو

يُعرَّف النحو على أنّه: « سمت كلام العرب من تصرّفه وإعرابه وغيره،... ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة »، أي أنّه العلم الذي يبحث في القواعد والأصول التي ميزت لغة العرب، والتي استنبطها النّحاة من بعدهم وعقدوا فيها مؤلفات لا سبيل لعدّها وحصرها. ولا شك أن المستوى النحوي أهمّ المستويات اللغوية التي يجب

1 – ينظر: محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، ج1، ص9.

2 – المرجع السابق ، ج1، ص9.

3 – ينظر: محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، ج1، ص11.

الوقوف عندها في التّحليل العلمي للكلام قصد معرفة دلالته[1]؛ فلا يتسنى فهم التراكيب ولا ربطها بسياقاتها دون الوقوف على طبيعة النظم المؤلفة الجامعة لها، من اسم وفعل وحرف.

لما كان ذلك كذلك، لم يكن المفسّرون للقرآن الكريم بمنأى عن هذا، ولا غير عارفين به، سواء منهم من كانوا متخصّصين في اللغة، أو في علوم أخرى، كأصول الفقه وعلم القراءات؛ بل أدركوا تمام الإدراك واليقين، أنّ فهم القرآن يرتكز أساسا على شرح العلاقات النحويّة لمبانيه، حتى بدا حضور التّحليل النحوي في التّفسير واضح المعالم في سُنن الأولين والمتأخرين من علماء التّفسير، وإن تفاوت توظيف الشرح النحوي للآيات من مفسر لآخر، إلا أنّهم لم يكونوا في غنى عنه، من منطلق أنّ: « الصلّة بين النحو والتّفسير صلة وثيقة نظرا لفاعلية المعنى النحوي في تفسير النصوص وكشفها »[2].

إنّ المتتبّع لجهود المتقدّمين في تفسير القرآن، كتفسير الصحابة رضوان الله عليهم وبعض التابعين من بعدهم، يلحظ اكتفاء المفسّر بشرح معاني ومقاصد الآية، دون الإسهاب فيما يتعلق بها من جوانب نحوية أو بلاغية، وهذا يرجعه ابن خلدون (808ه): إلى أنّ معرفتهم باللّغة لا تبلغها معرفة، وملكتهم فيها سليقة لا تماثلها سليقة، وقد استأنس من جاء بعدهم من المفسّرين بالنحو والبلاغة، لضعف ملكتهم وبعدهم عن كونها سليقة لهم[3].

ولعلّ هذا من العوامل التي أكسبت الدّرس النحوي قدسيّة عند أهل التفسير، فبالموازاة مع مساهمة النحويّين القدامى في تفسير معاني وموضوعات القرآن في مصنفاتهم المختلفة "كمعاني القرآن "، لأبي إسحاق إبراهيم الزّجّاج (311ه)، ومحمد المبرّد (210ه)، وله مُصنَّف في إعراب القرآن، ومحمد بن المستنير المعروف بقُطرب

1 – ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى اللّغوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1،2001م، ص45.

2 – ينظر: المرجع السابق، ص161.

3 – ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار بن الجوزي، القاهرة، ط1، 2010م، ص373.

(206ه)، وغيرهم من النحاة[1]، نجد إسهام المفسرين في إثراء مباحث النحو غير خفّية على كل دارس، سواء على مستوى التّطبيق؛ كتوظيف القواعد النحويّة في ثنايا تفاسيرهم، أو على مستوى التّنظير؛ كالتأليف في مسائل النحو وشرح وتبسيط مؤلفات سابقيهم، « فالقرآن الكريم بقراءاته المختلفة أغنى قواعد النحو وزاد من قيمتها وأمدّها بأمتن القواعد وأحسن الأساليب »[2].

إنّ من أهمّ ما يقف عنده دارس النحو هو مباحث الإعراب، وهو « الإبانة عن المعاني بالألفاظ »[3]، ويشمل معرفة أحوال أواخر الكلم وترتيبها، وقد نشأ الاهتمام بالإعراب أولاً بوضع حركاته: من ضمةٍ للرفعِ وفتحة للنصبِ وكسرة للجرِ، قصد تصحيح النطق والقراءة والسلامة من اللحن واتقائه؛ إذ جيء به في رسم المصحف علامات يستنير بها القارئ وللإعراب أثر في المعنى دون شك؛ فبِهِ تميّز الفاعل من المفعول والخبر من المبتدأ، وله علاقة كبيرة بالتّفسير؛ « فلا قيام لشأن التّفسير إذا لم يكن قائله عالما بقواعد النحو، وما يستتبعه ذلك من وجوه الإعراب »[4].

فَصِلة التّفسير القرآني بهذا المبحث اللطيف من النحو المتمثل فيما يعرف به أواخر الكلام وثيقة العرى؛ فلولا الإعراب لما اتضح بيان قوله تعالى: كَذَّبُوا۟ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ لَّمَّا [فاطر: 28]. إذ خالفت رتبة الفاعــل " العلماء " ولفظ الجلالة في محل المفعول " الله " مقتضى الترتيب الأقيس المطّرد في العربية من ورود الفاعل مقدّما على مفعوله،وذكر الزّمخشري رحمه الله (538ه) قراءة وردت برفع الله ونصب العلماء على أنّها استعارة

1 – ينظر: خضر موسى محمد محمود، النحو والنحاة المدارس والخصائص، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص22.

2 – عبد العالي سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي الجراح الصباح، الكويت، ط2، 1978م، ص306.

3 – عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج1، ص35.

4 – أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، ص155.

للعظمة[1]، وردّ هذا القول أبو حيان الأندلسي رحمه الله (745ه) في تفسيره "البحر المحيط" بقوله: « وقرأ الجمهور: بنصب الجلالة ورفع العلماء، وروي عن عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة عكس ذلك، و تُؤُوِّلَتْ هذه القراءة على أنّ الخشية استعارة للتّعظيم؛ لأنّ من خشي وهاب أجلَّ وعظَّم من خشيه وهابه. ولعل ذلك لا يصح عنهما، وقد رأينا كتبا في الشّواذ، ولم يذكروا هذه القراءة »[2]، فبعلامة النصب في اسم الجلالة المقدّم " الله "، وعلامة الرفع في الاسم المؤخر رتبة " العلماء "، اتضح الفاعل من مفعوله واتضح من خلالهما المعنى المراد.

وقد نتج عن بعض الاختلافات الإعرابية في القراءات القرآنية مسائل خلافية، خاصة ما تعلّق منها بالجوانب الفقهية، فقد اختلف الفقهاء في حكم الرِّجل من الوضوء أهو الغسل أم المسح، ومردّ هذا الخلاف، اختلاف الحركة الإعرابية في القراءات بين الفتحة والكسرة من قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [المائدة: 6]. فقرأ البعض: وأرجلَكم بالفتح؛ فهي منصوبة عطفا على " وأيديَكم "، فيكون حكمها الغسل تبعا لغسل اليدين، وقرأ آخرون: وأرجلِكم بالكسر؛ فهي مجرورة عطفا على " برؤوسكم "، وتلحق الرأس في حكم المسح. غير أنّ هذا الاختلاف لا يؤدي إلى تعارض المعنى؛ إذ ذهب الفقهاء إلى أنّ كلا المعنيين صحيح، وإنّما جاء لمقصد التّوسعة والتّيسير؛ فيشمل الغسل المسح، وينوبه المسح إذا تعذّر، فيعوضه كما يعوض التّيمم الوضوء إذا تعذّر[3].

ومن المباحث النّحوية الواجب على المفسّر معرفتها وبيانها، إدراك معاني الحروف والأدوات، وإدراك الفروق بينها فيما وضعت له. ولمعاني الأدوات ظاهر الأهمية في كشف أسرار الآيات القرآنية والوقوف على حقائقها، يقول الإمام السيوطي (911ه) رحمه الله في الإتقان: « اعلم أنّ معرفة ذلك من المهمّات المطلوبة لاختلاف مواقعها،

---

1 – ينظر: أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1986م، ج3، ص611.

2 – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج7، ص289.

3 – ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط1، 2000م، ج10، ص52.

ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها »[1]. وقد خصّها السيوطي في كتابه بفصل أسماه " في معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر "، وسردها مرتّبة على حسب حروف المعجم، وذكر بعض من سبقه في التّفصيل فيها[2].

ومن الأمثلة على هذا معرفة المفسّرين المقصود بالسّهو عن الصلاة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: 5]؛ إذ تبيّنَ من خلالها أنّ السهو هو تركها والتّخلي عنها، وليس السهو الذي يعتري كل إنسان أثناء قيامه بها، قال الزّمخشري في بيان هذا: « أيُّ فرق بين قوله عن صلاتهم، وبين قولك في صلاتهم؟ قلت: معنى عن: أنّهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلّة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشّطار من المسلمين، ومعنى في: أنّ السّهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم »[3].

إنّ حاجة المفسرين للإحاطة بالنّحو واستِئْناسُهم به في كشف معاني الآيات، قد تجلى أثره في النحو العربي، وذلك من خلال تأليفهم في مسائل النحو والخوض في قضاياه، فقط تجدر الإشارة بالفرق بين جهود القدامى وجهود المحدثين، فالأولون من المفسّرين اتّسمت جهودهم النحوية بشيء من التأصيل. أما حديثا فقد عُقِدَتْ أغلب الجهود في الشروح؛ أي في شرح آثار القدامى قصد تبسيطها.

لا سبيل لحصر المفسرين الذين لهم بالغ الأثر في الدّرس النحوي قديما وحديثا، سواء أكانت آراء وترجيحات نحويّة في مصنفاتهم التّفسيرية، أم كانت مؤلفات أخرى خَصّوا فيها مسائل النحو بالنّظر والتّأويل، وعلى سبيل الاستشهاد والتمثيل لنماذج منهم اكتفينا بذكر بعضهم، نظرًا لرجوعهم للنّحو في تفسيرهم آيات التنزيل المبارك، ولتركهم آثار نحويّة أثْرت الدّرس النحوي العربي وبلغت به درجة من النضج تطبيقًا وتنظيرًا.

1. المفسّر أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري:

---

1 – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، عناية: خالد العطار، ج1، ص207.

2 – ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص207.

3 – الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج04، ص805.

من المفسّرين المتقدّمين الذين يجدر ذكرهم ممن أولوا عناية بالنحو في تأويل آيات القرآن الكريم، نذكر الإمام أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري (558ه) رحمه الله، فهو مفسّر نحوي تطفو على تفسيره " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " معالم الشرح النحوي. « برع في الأدب، والنحو واللّغة، لقي الكبار وصنّف التصانيف، وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له »[1]، كان إماماً في التفسير والنحو، له أثره في العلمين. معتزليُ المذهب، ظهرت براعته اللُغوية من خلال تفسيره؛ فهو لا يقف عند بيان معاني الآيات بما أثر ونقل فقط، بل يزيد عليه تفصيلات كثيرة في كشف أسرارها النحوية ومقاصدها البلاغية،ولعلّ هذا ما جعله يسمي كتابه بهذا الاسم: " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ".

يعتبر تفسير الكشاف من أشهر التفاسير الزّاخرة بالشرح النحوي للآيات، قال عنه ابن خلدون في المقدّمة: « ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير، كتاب الكشاف للزّمخشري من أهل خوازم العراق، إلا أنّ مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة »[2]. استغلّ الزمخشري براعته اللّغوية في تأويل آي القرآن الحكيم وفق ما تمليه عليه أصول مذهبه المعتزلي، وإن منع هذا الانتفاع به في مسائل التّفسير، فلا يمنع من اتخاذه مرجعا لغويا لما اشتمل عليه من آراء نحويّة وبلاغية، «إذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السنيّة، محسنا للحجاج عنها، فلا جرم أنّه مأمون من غوائله، فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان »[3].

ومن الأمثلة الكثيرة التي وظّف فيها الزمخشري القواعد والأصول النحوية في تفسيره " الكشاف" نذكر على سبيل الاستشهاد لا الحصر قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ﴾ [البقرة: 2].قال الزمخشري: « فإن قلت: لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد؟ قلت: وقعت الإشارة إلى " الم " بعد ما سبق

1 – جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1975م، ص120.

2 – عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص373.

3 – المرجع نفسه، ص373.

التّكلم به وتقضى، والمتقضى في حكم المتباعد. وهذا في كل كلام، يحدّث الرجل بحديث ثم يقول: وذلك ما لا شك فيه. ويحسب الحاسب ثم يقول: فذلك كذا وكذا »[1]. فيشرح الزمخشري هنا غايه توظيف اسم الإشارة " ذلك " بدل " هذا " للإشارة ل " الكتاب " وهو قريب، و" ذلك " تطلق للبعيد، فيرجعها أنّها إشارة ل " ألم " التي سبق ذكرها، ثم يسترسل البيان النحوي في تراكيب وكلمات الآية فيقول فإن قلت: « أخبرني عن تأليف ذلك الْكتاب مع (الم). قلت: إن جعلت (الم) اسما للسورة، ففي التأليف وجوه: أن يكون (الم) مبتدأ، و(ذلِكَ) مبتدأ ثانيا، و(الكِتابُ) خبره، والجملة خبر المبتدأ الأوّل، ومعناه: أنّ ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كأنّ ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص »[2].

ومع كون الزمخشري مفسرًا اشتغل بالتفسير، إلا أنّه ذاع صيته في الدَّرس النحوي العربي، فهو من أشهر نحاة زمانه، له مصنفات في اللغة والأدب منها: الكلم النوابغ، أساس البلاغة، صميم العربية، كما خَصّ النحو بمؤلفات منها: المفصّل في صنعة الإعراب، شرح أبيات الكتاب، الأنموذج في النحو، شرح مشكلات المفصل، الأحاجي النحوية[3]، ولا شك أنّ هذا الزّاد النحوي والبلاغي الذي تفرد به الزمخشري، كان هو المعين على ربط البيان الشرعي بالبيان اللغوي في تفسيره.

2. المفسّر محمد بن صالح العثيمين:

ومن المفسّرين المعاصرين والذين كان لهم بالغ الإسهام في الدّرس النحوي نذكر فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (1419ه) رحمه الله، فالمتأمل في تفسيره يلمح المنزلة التي أولاها فضيلته لعلم النّحو، فقد كان يحثُّ بين ثنايا كتبه ودروسه على تعلّمه وتعليمه؛ لأنّ فوائده كما يرى: « تقويم اللّسان وتقويم البنان؛ أيّ تقويم اللّسان عند النطق، وتقويم البنان عند الكتابة ... وهو معين على فهم الكتاب والسنة »[4]، كما أنّ للشيخ رأي في قضية تيسير النحو؛ إذ يرى أنّ النحو يسير وغير عسير، وإنما يتطلب من طالبه

---

1 – أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص32 .

2 – المرجع نفسه، ص33 .

3 – ينظر: سعيد الأفغاني، من تاريخ النّحو العربي، ص137.

4 – محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، الدرس70.

الاجتهاد والصبر في بداية أمره، ويمثل فضيلته تعلم النحو بدخول بيت من قصب بابه حديد. ويرى بالأخذ بالأيسر الأسهل في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ويميل هو في الغالب للكوفيين لما عندهم من تيسير[1].

اتّخذ فضيلة الشيخ العثيمين علم النحو وسيلة أولى لفهم ما تتضمنه الآيات القرآنية من معاني، فقد ندر أن يوضّح المعنى من غير الوقوف أولا عند القواعد النحوية، وكان هذا منهجه الذي اعتمده في تفسيره المشهور " تفسير العثيمين "، ومن أمثلة ما سبق ذكره، تفسير قوله تعالى ﴿كَذَّبُواْ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ [الفاتحة، 01]، قال رحمه الله في تفسيره: « الجار والمجرور متعلق بمحذوف؛ وهذا المحذوف يقدر فعلا متأخرا مناسبا؛ فإذا قلت: "باسم الله" وأنت تريد أن تأكل؛ تقدر الفعل: "باسم الله آكل"، قلنا: إنّه يجب أن يكون متعلقا بمحذوف؛ لأنّ الجار والمجرور معمولان؛ ولا بدّ لكل معمول من عامل، وقدرناه متأخرا لفائدتين: الأولى التبرك بتقديم اسم الله عزّ وجل، والثانية: الحصر؛ لأنّ تأخير العامل يفيد الحصر، كأنّك تقول: لا آكل باسم أحد متبركا به، ومستعينا به، إلا باسم الله عزّ وجلّ، و{الله}: اسم الله رب العالمين لا يسمى به غيره؛ وهو أصل الأسماء؛ ولهذا تأتي الأسماء تابعة له »[2].

يتّضح من خلال تفسير الآية الكريمة مدى استثمار الدّرس النحوي، فقد انطلق الشيخ من إعراب البسملة على أنّها شبه جملة لفعل محذوف مقدّر، مع كونها معمولا لعامل تأخر لغاية ترتبط بالمعنى حدّدها الشيخ بتحقيق التّبرك باسم الله في كل فعل يقوم به الإنسان ويذكر فيه البسملة. ثم عمد رحمه الله لتفسير أسماء الله بما يتّفق مع أبنيتها الصرفّية، وهنا يربط الجوانب الصرفيّة بالنحويّة في كشف معاني الأسماء. وقد نهج هذا النهج في كامل تفسيره للقرآن العظيم، يبسط من خلاله آرائه النحويّة العامة والخاصة المتعلقة بالمراد تفسيره.

ومن الشواهد الدّالة على منزلة النحو والاستعانة به على التفسير، توقف المعنى على دلالة الأداة النحوية، وقد سبق بيان هذا، ففي تفسير البسملة ردّ الشيخ العثيمين على الإمام

---

1 – ينظر: نجيب محمود الزبيدي، الجهود النحويّة للشيخ العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2008م، ص278.

2 – محمد بن صالح العثيمين، تفسير العثيمين، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2002م، ج1، ص33.

الزّمخشري رحمه الله فيما يتعلق بمعنى حرف الجر " الباء "، ويرى الزمخشري أنّ الباء للمصاحبة، لكن العثيمين يرى أنّها للاستعانة؛ إذ الإنسان يحتاج للإعانة غير مستقل بعمله. أما الزمخشري فقال للمصاحبة جنوحا لمذهب المعتزلة الذّين يرون أنّ الإنسان مستقل بعمله ولا يحتاج للإعانة[1].

إذا كانت هذه نماذج من استشهاد العثيمين رحمه الله بالنحو في بسط معاني القرآن الكريم تدلّ على منزلة النحو عنده، فإنّ جهوده النحوية على مستوى التّنظير أدلّ على ذلك، فلا مبالغة إذ قيل أنّه نحوي عالم بخبايا النّحو ومسائله، وقد شرح العثيمين كثيرا مما استعصى على الدّارس المبتدئ من مباحث نحوية وردت في كتب القدامى، خاصة المنظومات منها، فمن شروحه نذكر الآتي:

شرح كتاب " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ": هذا الكتاب هو مُؤَلَفٌ نحوي شهير لابن هشام الأنصاري (761ه) رحمه الله، وذكر في كتابه هذا كثير من مسائل النحو بشيء من التفصيل، وكان كتاب غزير الفائدة، وفير الصفحات، يحتاج إليه طالب النحو أيّما احتياج. شرحه الشيخ في كتابه الموسوم " مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب "، إذ شرح فيه مسائل الكتاب بالإيجاز والتبسيط، وصاغ عباراته بسيطة واضحة تتماشى مع مستوى الطالب المبتدئ حتى يرجع له، ولم يكتفي بذكر ما كان يذهب إليه ابن هشام من آراء، بل كان له رأي في الكثير منها، كما أسقط مسائل لم يذكرها رأى فيها عدم حصول الفائدة منها[2].

ومن شروح الإمام أيضا، شرح نظم الآجرومية لابن آجروم (723ه) رحمه الله، وقدّم العثيمين في شرحه لها مقدمة انطلق فيها من بيان منزلة النّحو إلى وجوب معرفته لفهم كتاب الله وسنة نبيّه وتقويم اللّسان على النطق السليم، ثم شرح الآجرومية باسطًا مسائل النحو فيها، متطرقًا لمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين كلّما ورد ذلك. وللشيخ شروح أخرى تمثلت في آثار صوتية سجّلت من دروسه ومحاضراته، منها شرح " ألفية ابن مالك " النحوية لابن مالك، وكان هذا الشرح وفق ما جاء في الألفية وفي شرح

---

1 – ينظر: نجيب محمود الزبيدي، الجهود النحويّة للشيخ العثيمين، ص261.

2 – ينظر: المرجع السابق، ص30 – 47.

ابن عقيل لها، نظرا لشهرة شرح ابن عقيل، كما شرح فضيلته نظم " الدّرة اليتيمة " في النحو لسعيد بن سعد الحضرمي رحمه الله تعالى (1354ه)، وكان الشرح لا يختلف عن سابقيه في التبسيط واليسر[2].

إلى جانب كلّ ما سبق ذكره من المباحث النحوية في التّفسير، نجد جهودًا أخرى قد شكّل القرآن فيها مدونة تتضح فيها معالم التّطبيق النحوي أيّما اتضاح، فإعجازه البلاغي والنحوي جعل اللّغويين يميلون إليه للاستشهاد به وأخذ المثل منه في شرح ما يذهبون إليه من آراء نحوية، وكأمثلة لهذا ما قام به تمام حسان في كتابه روائع البيان، إذ طبّق فيه نظرية تضافر القرائن التي يتضح من خلالها العوامل الداخلية والخارجية الفاعلة في الإعراب ظاهرًا وتقديرًا الجارية على سنن العرب في كلامهم؛ كقرينة الرتبة والتّخصيص وغيرها.

ولم تكن غايته الأولى من كتابه هذا تفسير القرآن الكريم كما قال، وإنّما حاول تطبيق النظّرية[1]، وهذا لا يمنع المفسّر من الاستفادة منه؛ إذ هو توضيح نحوي للقرآن من منظور أهل اللّغة.

ومن النماذج كذلك ما نلمسه من تفسيرات بيانية ونحوية في كتاب " أسرار البيان في التعبير القرآني " فاضل السامرائي، الذي شرح فيه الآيات شرحا لغويا، خاصة ما تعلق منها بالجماليات البلاغية والمقاصد النحوية، فهو قراءات بيانية تتضح فيها معالم الصلة بين غاية الكشف عن معاني الآيات، وبين ضرورة الدّراية باللغة لتحقيق ذلك، والباحثون في هذه المباحث الجليلة كُثُر لدارس اللغة ومفسر القرآن لا سبيل لحصرهم في سطور.

---

2 – ينظر: نجيب محمود الزبيدي، الجهود النحويّة للشيخ العثيمين، ص30–47.

1 – ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغويّة وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط، 1993م، ص03.

وخلاصة القول: أنّ صلة النحو وثيقة بالتّفسير القرآني، من منظور شامل أنّ القرآن الكريم عربي مبين لا يتسنى فهمه إلا بمعرفة قواعد اللّغة التي نزل بها، ومن منظور أخصّ تمثل في فضل القرآن على الدّرس اللغوي والنّحوي على وجه الخصوص؛ فالعناية بالقرآن هي مبعث ونشأة النحو العربي وثراء مباحثه، وقد تجلّت هذه الصّلة بوضوح، بل آتت أكلها تنظيرا وتطبيقا من خلال جهود المفسرين في الدّرس النحوي قديما وحديثا، ومن خلال جهود النحويين في استنباط قواعد النحو من لغة القرآن، كما يجّدر التنبيه على أنّ حفظ القرآن بالعناية الربانية هو سبيل قوي لحفظ التّراث النحوي العربي خدمةً لتفسيره وبيانه، مهما تعاقبت الأزمنة واختلفت الأمكنة.

الفصل الثاني

توظيف أبي حيان لقواعد النحو في تفسير سورة النور

أولا: نبذة عن المؤلّف والمؤلَّف

1. **نبذة من حياة المفسّر**
2. **قراءة وصفيّة لتفسير البحر المحيط**
3. **منهج أبي حيان في الكتاب**

ثانيا: توظيف أبي حيان لقواعد النّحو في تفسير سورة النور

أولا: نبذة عن المؤلِّف والمؤلَّف:

1.نبذة عن حياة المفسّر أبي حيان:

هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الأصل الغرناطي[1]. أما النفزي فنسبة إلى قبيلة من البربر[2]، والأندلسي نسبة إلى موطنه الكبير الأندلس، والجياني إلى جيان، مدينة أهله و ذويه، والغرناطي نسبة إلى مدينة غرناطة، التي نشأ و ترعرع فيها.

يكنى بأبي حيان نسبة إلى ولده حيان، ومن هنا غلبت عليه هذه الكنية ولازمته[3]. ولد بمدينة " مطخشارش " في آخر شوال سنة أربع و خمسين و ستمائة[4]، و قيل ولد سنة اثنتين و خمسين وستمائة[5]، ولعل الأول هو الرّاجح.

كانت نشأة أبي حيان نشأة علمية، وذلك راجع إلى البيئة التي ترعرع فيها، فأبوه علمٌ من أعلام التفسير كما قصّ هو عن نفسه، وأيضاً مجتمعه الذي شبّ فيه ساعده على نضوج فكره وشموخ عقله، كيف لا وهو من مواليد بلدة غرناطة الثرية بمدارس العلم المختلفة، والتي تميّزت بالحلقات العلمية في شتى المجالات كالفقه والحديث والتفسير والأدب[6].

---

[1] – ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، دار هجر، ط2، 1413م، ج9، ص276.

[2] – ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ج1، ص280.

[3] – ينظر: عبد العزيز بن مطلك الدميلي، الدراسات اللغويّة والنحويّة في البحر المحيط، رسالة دكتوراء في اللغة العربية، جامعة بغداد، 1992م، ص5.

[4] – ينظر: أحمد الادنوري، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان الجزري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1997م، ص279.

[5] – ينظر: تقي الدين بن القاضي شهبه، طبقات الشافعية، تحقيق: حافظ عبد العليم، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407ه، ج3، ص67.

[6] – ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج1، ص28.

شرع رحمه الله في طلب العلم سنة سبعين[1]، قرأ القرآن بالرّوايات، قرأ عن الخطيب عبد الحق بن علي إفرادا وجمعا، ثم عن الخطيب أبي جعفر بن الطباع، ثم عن الحافظ بن علي[2]. أخذ علم الأصول عن الأصفهاني، وعلم الحديث عن الدمياطي[3]، وحفظ المنهاج إلا يسيرا، وقرأ أصول الفقه عن أستاذه أبي جعفر بن الزبير، كما قرأ شيئاً من المنطق عن بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي، وأخذ علم الحديث في المغرب عن أبو جعفر ابن الزبير،[4]. وقرأ العربية على رضي الدّين القسنطيني وبهاء بن النحاس قرأ عليه كتاب سيبويه[5].

رحل من غرناطة وكان سبب رحلته أنّه حملته حدة شيبته على التّعرض للأستاذ أبو جعفر ابن الطباع، وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر ابن الزبير وحشة فنال منه، وتصدى للتأليف في الرد عليه وتكذيب رواياته، فرفع أمره للسلطان بغرناطة، فأنتصر له وأمر بإحضاره وتنكيله، ثم اختفى، ثم أجاز البحر متخفياً ولحق بالمشرق، وتكررتْ رحلته إلى أن حلّ بالديار المصريّة[6].

كان ملازماً لمشايخه حيث يقول في مقدمة تفسيره حكاية عن نفسه: « وما زلت من لدن ميزة أُتَلمِذُ للعلماء وانحاز للفقهاء، وأرغب في مجالسهم وأنافس نفائسهم، وأسلك طريقهم وأتبع فريقهم؛ فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، ولا أتوقل إلا ذروة علام؛ فكم صدرا أودعت علمه صدره، وحبراً أفنيت من فؤاده حبرّه، وإمام أكثرت به الإلمام »[7].

ولما كانت بداية رحلته العلمية منذ نعومة أظافره، وكانت بلده الغنية بمدارس العلم مستقرة، تلقى مختلف العلوم عن جمع من المشايخ الفضلاء بالأمصار التي أقام بها، نذكر

---

1 – ينظر: القاضي شهبه، طبقات الشافعية، تحقيق: حافظ عبد العليم، ج3، ص68.

2 – ينظر: أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993م، ج6، ص58.

3 – ينظر: القاضي شهبه، طبقات الشافعية، تحقيق: حافظ عبد العليم، ج3، ص68.

4 – ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج6، ص59.

5 – ينظر: القاضي شهبه، طبقات الشافعية، تحقيق: حافظ عبد العليم، ج3، ص68.

6 – ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج6، ص59

7 – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج1، ص28.

منهم: عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري، أحمد بن علي محمد بن الطباع، خليل بن عثمان المراغي، علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، عبد النصير بن علي بن يحي المربوطي[1].

أما عن تلاميذ الإمام وبعد أن شرب من مناهل مشايخه الفضلاء وارتوى، تفرغ للتأليف والإقراء، فكان عليه إقبال كبير من الطلبة نذكر منهم: أحمد بن محمد بن نخلة الدمشقي، أبو بكر بن أبدغدي الشمسي، أبو الفتح محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن علي السبكي[2]، شرف الدين أبو الوليد، جمال الدين أبو الطيب الشبكي[3]، وغيرهم كثير.

كان لهذه الشخصيّة الفذة المتبحّرة في جل العلوم الخادمة للتّفسير وبخاصة علوم اللغة العربية مصنفات ومؤلفات تركها لمن خلفه شيخاً كان أو طالب علم، حيث بمثابة المسلك الذي يسارُ وفقه ويعتمد عليه، ومن مصنفاته الكثيرة نذكر الآتي:

- ✓ البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم.
- ✓ تحاف الأريب بما في القرآن من الغريب.
- ✓ كتاب الأسفار بملخص من كتاب الصفار.
- ✓ شرح كتاب سيبويه[4].
- ✓ النافع في قراءة نافع.
- ✓ الأثير في قراءة ابن كثير.
- ✓ تحفة الندس في نحاة الأندلس الأبيات الواقية في علم القافية[1].

---

[1]– ينظر: شمس الدين بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره أول مرة 1351ه، ج2، ص285.

[2]– المرجع نفسه، ج2، ص285.

[3]– ينظر: أحمد خالد شكري، أبو حيان الأندلسي و منهجه في تفسير البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه، دار عمار، الجامعة الأردنية، ط1، 2007م، ص88.

[4]– ينظر: صلاح الدين الصفدي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1973م، ج4، ص78.

أما وفاته، فقد توفي –رحمه الله – خارج باب البحر بالقاهرة يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرون من صفر 745 هـ، ودُفن من الغد بمقبرة الصوفيَّة خارج باب النصر وصُلِيَ عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر، وأَسِف لموته الكثير ومنهم الصفدي[2] الذي رثاه بقصيدة مطلعها:

مـــــات أثيـــــر الـــــدّين شـــــيخ الـــــورى
فاســـــــــتعر البـــــــــارق واســـــــــتعبر
ورق مـــــــن حـــــــزن نســـــــيم الصـــــــبا
واعتلـــــى فـــــي الأســـــحار لمـــــا ســـــرى
وصـــــــادحات الأيـــــــك فـــــــي نوحهـــــــا
رثتّـــــه فـــــي الســـــجع علـــــى حـــــرف را
يـــــا عـــــين جـــــودي بالـــــدّموع التـــــي
يـــــروى بهـــــا ضـــــمه مـــــن ثـــــرى
وأجـــــر دمـــــاً بالخطـــــب فـــــي شـــــأنه
قـــــد اقتضـــــى أكثـــــر ممـــــا جـــــرى
مـــــات إمـــــام كـــــان فـــــي فمـــــه
يـــــرى أمامـــــاً والـــــورى مـــــن ورا[3].

---

[1]– ينظر: صلاح الدين الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ج1، ص69.

[2]– خليل بن أبيك الصفدي (696–764ه): أديب، مؤرخ كثير التصانيف الممتعة مهر في صناعة الرسم ثم ولع بالأدب والتراجم الطبقات تولى ديوان الإنشاء ثم وكالة بيت المال في دمشق توفي بها من مصنفاته: الوافي بالوفيات. (الزركلي، الأعلام، ج2، ص315).

[3]– ينظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبي يزيد وآخرون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1998م، ج5، ص327، 328.

وقد أثنى الكثير من العلماء على أبي حيان، وممن تكلم في سيرته نذكر بعض الأقوال: قال ابن حجر العسقلاني: « كانت عباراته فصيحة بلُغة الأندلس ويعقدُ القاف قريبة من الكاف، لكنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة متقنة، قد مدحه جماعة من الأدباء البلغاء، وأخذ عنه كبار المشايخ، ممن مات في حياته، أو بعده بقليل لأنّه عمر طويلاً »[1].

قال السَبْكي صاحب طبقات الشافعية: « شيخ النّحاة العلمُ الفرد والبحرُ الذي لم يعرف الجزر، بل الجزر بل المد، سيبويه الزمان إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران، وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء، ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء، كعبة علم تُحجُّ ولا تَحُجُ، ويقصد من كل فج »[2]. وقال فيه الشوكاني في البدر الطالع: « تبحّر في اللغة العربية والتّفسير فاق أقرانه وتفرّد بذلك في جميع أقطار الدّنيا ولم يكن في عصره من يماثله »[3].

2. قراءة وصفيّة لتفسير البحر المحيط:

"البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم " هو الاسم الكامل للكتاب الذي يعدّ من أمهات كتب التفسير الموسوعيّة التي اهتمت بالجوانب اللغويّة؛ حيث التزم أبو حيان بمنهج تفرّد به، فقد رأى ألاَّ تُثـــــقل كتب التفسير بتحميلها مباحث العلوم الأخرى[4]

بدأ أبو حيان بتأليفه في أواخر سنة عشرة و سبعمائة، حيث قال: « وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد وذلك بانتصابي مدرساً في علم التفسير في قبة السلطان المنصور.... ، وكان ذلك في أواخر سنة عشرٍ وسبعمائة وهي أوائل سنة سبع و خمسين من عمري فعكفت على تصنيف هذا الكتاب في قبة السلطان المنصور».[5]

---

[1]– ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج4، ص307– 308.

[2]– تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص276.

[3]– محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص288.

[4]– ينظر: دينا محمد بن حمود الحارثي، اللغات العربية في تفسير البحر المحيط – الجانب النحوي – ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ص64.

[5] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج1، ص10.

لهذا التفسير عدة طبعات أولها سنة 1328ه بمطبعة السعادة بمصر في ثمان مجلدات كبيرة، وهي مجموعة ومتداولة بين أهل العلم. ومعتبرة عندهم المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم؛ إذ أنّ الناحية النحوية هي الأبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول الكتاب العزيز، وقد أكثر من مسائل النحو في كتابه، مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير[1]، قال عنه إبراهيم بن محمد السفاقسي[2]: « وقلَّ من سلك هذه الطريقة من المُعْرِبّين واقْتعَد غَارِبها من المحققيّن، إلا الشيخ الفاضل أثير الدّين فإنّه ضمَّن كتابه المسمى بالبحر المحيط هذا الطريق وسلك فيه سبيل التحقيق، وزيف فيه كثير من أقوال المعربين، و بين جيِّدها عن أصول المحققين »[3].

هذا وإن غلبت عليه الصناعة النحويّة في تفسيره، إلا أنّه مع ذلك لم يُهمل ما عداها من النواحي التي لها اتصال بالتفسير[4] يقول السفاقسي: « لكنّه أبقاه الله، سلك في ذلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والإعراب، فتفرّق فيه هذا المقصود وصعب جمعه إلا بعد بل المجهود »[5]، فنراه يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول، النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات الواردة مع توجيهها بل مكثر فيها، كما أنّه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن، ولا يُهمل الأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك. كل هذا على طريقة وضعها لنفسه، ومشى عليها في كتابه بيّنها ونبه عليها في مقدمته.

---

[1] – ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص226.

[2] – إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي(697–772ه): السفاقسي المالكي، أخذ عن أبي حيان بالقاهرة وسمع ببجاية من شيخها ناصر الدين، مهر في الفضائل وجمع إعراب القرآن. (ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج1، ص62).

[3] – إبراهيم محمد بن السفاقسي، المجيد في إعراب القرآن الكريم، ابن الجوزي، ط1، 1430ه، ج1، ص20.

[4] – ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص226.

[5] – إبراهيم محمد بن السفاقسي، المجيد في إعراب القرآن الكريم، ج1، ص20.

3. منهج أبي حيان في الكتاب:

لقد بيّن أبو حيان منهجه الذي سار عليه في تفسيره قائلا :‹‹ وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها، لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللّغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فيحمل عليه »[1].

ويضيف قائلا: « ثم أشْرع في تفسير الآية، ذاكرا سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشدا فيها القراءات، شاذَها ومُستعملها، ذاكرًا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلًا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلمًا على جليها وخفيها، بحيث إني لا أغادر منها كلمة، وإن اشتهرت، حتى أتكلم عليها، مبديا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان، مجتهدا أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزيد فائدة، ناقلا أقاويل الفقهاء الأربعة، وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني، محيلا على الدلائل التي في كتب الفقه، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو....، مُنكبًا في الإعراب عن الوجوه التي تَنزهَ القرآن عنها، مبينا أنها مما يجب أن يُعدلَ عنه، وأنه ينبغي أن يُحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب[2]».

---

[1] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج1، ص12.

[2] – المرجع نفسه، ج1، ص12.

ثانيا: توظيف أبي حيان لقواعد النحو في تفسير سورة النور:

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	وقال الزَّمخْشري: فإن قلت: أيّ فرْقٍ بَيْنَ مَعْنَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ؟ قال: مَعْنَى الْأُولَى صِفَةُ الزَّانِي بِكَوْنِهِ غَيْرَ رَاغِبٍ فِي الْعَفَائِفِ وَلَكِنْ فِي الْفَوَاجِرِ، وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ صِفَتُهَا بِكَوْنِهَا غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهَا للإعفاء وَلَكِنْ لِلزُّنَاةِ، وَهُمَا مَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ لَا يَنْكِحُ بِالْجَزْمِ عَلَى النَّهْيِ وَالْمَرْفُوعُ فِيهِ مَعْنَى النهي ولكن هُوَ أَبْلَغُ وَآكَدُ كَمَا أَنَّ رَحِمَكَ اللَّهُ وَيَرْحَمُكَ اللَّهُ أَبْلَغُ مِنْ لِيَرْحَمْكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا مَحْضًا عَلَى مَعْنَى أَنَّ عَادَتَهُمْ جَارِيَةٌ عَلَى ذَلِكَ.
التعليق: بيّن أبو حيان في تفسيره لهذه الآية وظيفة "اللام" هل هي للجزم، إذا كانت للجزم أي؛ عدم الزاني إلا بزانية مثله أو المشركة أو هي للنهي، ورَّجح النهيُ من خلال المرفوع واستشهد بقول الزمخشري.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	الظَّاهِرُ أَنَّهُ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي حَيِّزِ الَّذِينَ يَرْمُونَ، كَأَنَّهُ إِخْبَارٌ بِحَالِ الرَّامِينَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْمَوْصُولِ الْمُتَضَمِّنِ

	مَعْنَى الشَّرْطِ وَمَا تَرَتَّبَ فِي خَبَرِهِ مِنَ الْجَلْدِ وَعَدَمِ قَبُولِ الشَّهَادَةِ أَبَدًا.
التعليق: وضح المفسر الآية من خلال إلحاق الاسم الموصول "**وَأُوْلَٰٓئِكَ** " بمقصوده من الذين يرمون المحصنات ولم يأتوا بالشهود.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ ﴾	قال المفسر: هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ يَعْقُبُ جُمَلًا ثَلَاثَةً، جُمْلَةَ الْأَمْرِ بِالْجَلْدِ وَهُوَ لَوْ تَابَ وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُ حَدُّ الْقَذْفِ، وَجُمْلَةَ النَّهْيِ عَنْ قَبُولِ شَهَادَتِهِمْ أَبَدًا وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ فِي قَبُولِ شَهَادَتِهِمْ إِذَا تَابُوا بِنَاءً عَلَى أَنَّ هَذَا الِاسْتِثْنَاءَ رَاجِعٌ إِلَى جُمْلَةِ النَّهْيِ، وَجُمْلَةَ الْحُكْمِ بِالْفِسْقِ أَوْ هُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ وَهِيَ الثَّالِثَةُ وَهِيَ الْحُكْمُ بِفِسْقِهِمْ، وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ النَّظَرُ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ إِذَا تَعَقَّبَ جُمْلَةً يَصْلُحُ أَنْ يَتَخَصَّصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِالِاسْتِثْنَاءِ أَنْ يُجْعَلَ تَخْصِيصًا فِي الْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تُكُلِّمَ عَلَيْهَا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَفِيهَا خِلَافٌ وَتَفْصِيلٌ، وَلَمْ أَرَ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَيْهَا مِنَ النُّحَاةِ غَيْرَ الْمَهَابَاذِيِّ وَابْنِ مَالِكٍ فَاخْتَارَ ابْنُ مَالِكٍ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْجُمَلِ كُلِّهَا كَالشَّرْطِ، وَاخْتَارَ الْمَهَابَاذِيُّ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ وهو الذي نَخْتَارُهُ، وَقَدِ اسْتَدْلَلْنَا عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ التَّذْيِيلِ وَالتَّكْمِيلِ فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَجَعَلَ يَعْنِي الشَّافِعِيَّ الِاسْتِثْنَاءَ مُتَعَلِّقًا بِالْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ وَحَقُّ الْمُسْتَثْنَى عنده أن يكون مجرور بَدَلًا مِنْ هُمْ فِي لَهُمْ وَحَقُّهُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ النَّصْبُ لِأَنَّهُ عَنْ مُوجَبٍ، وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ وَنَظْمُهَا أَنْ تَكُونَ الْجُمَلُ الثَّلَاثُ مَجْمُوعُهُنَّ جَزَاءُ الشَّرْطِ يَعْنِي الْمَوْصُولِ الْمُضَمَّنِ مَعْنَى الشَّرْطِ كَأَنَّهُ قِيلَ:

	وَمَنْ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتِ فَاجْلِدُوهُ وَرُدُّوا شَهَادَتَهُ وَفَسِّقُوهُ أَيِ اجْمَعُوا لَهُ الْحَدَّ وَالرَّدَّ وَالْفِسْقَ.
التعليق: هنا أورد المفسر الاختلاف النحوي الذي أدى إلى الاختلاف في تفسير الآية (الاستثناء المتعقب جملاً متعاطفة)؛ حيث هل يقتصر استثناء "**ٱلَّذِينَ تَابُواْ**" على الجملة الأخيرة و"**وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ** " أم لا يقتصر عليها ويتعدى إلى الآية الأولى والثانية التي قبلها، وذلك لأنها متعاطفة، إذ هنا يشمل استثناء التوبة الزاني والزانية ثم الذين يرمون المحصنات ولم يأتوا بالشهداء.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
چ **لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ** چ	يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ بِهِ عَلَى الْفِعْلِ فَتَقُولُ: لَوْلَا زَيْدًا ضَرَبْتَ وَهَلَّا عَمْرًا قَتَلْتَ. وقال أيضا الفائدة في تقديم الظرف (بَيَانُ أَنَّهُ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْقَادُوا حَالَ مَا سَمِعُوهُ بِالْإِفْكِ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ، فَلَمَّا كَانَ ذِكْرُ الْوَقْتِ أَهَمَّ وَجَبَ التَّقْدِيمُ).
التعليق: هنا استخدم المفسر قاعدة نحوية تتمثل في: "تقديم الأهم على المُهم" حيث قدَّ م الجملة الظرفية الدالة على الوقت **إِذْ سَمِعْتُمُوهُ** عن الجملة الفعلية **ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ** لأن لسماع الخبر يكون قبل الظن به خيراً أو شراً.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
چ**أَن تَعُودُوا۟** چ	وَقِيلَ: أَنْ تَعُودُوا مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ أَيْ كَرَاهَةَ أَنْ تَعُودُوا
التعليق: أعرب أبو حيان الجملة على أنها مفعول لأجله؛ حيث أنّه لأجل أنكم مؤمنين أو من مقتضيات الإيمان أن لا تعودوا للإفك والبهتان.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
چ يَوْمَ تَشْهَدُ چ	يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ. والناصب ليوم تَشْهَدُ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْجَارُّ والمجرور وَهُوَ وَلَهُمْ.
التعليق: بَيَّن المفسر أن العامل في نصب "يوم" هو تعلقهُ بالجار والمجرور في الآية التي قبلها "ولهم عذاب عظيم".	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
چ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ چ	وانتصب يَوْمَئِذٍ بيوفيهم، وَالتَّنْوِينُ فِي إِذٍ عِوَضٍ مِنَ الْجُمْلَة يَجُوزُ الْفَصْلُ بِالْمَفْعُولِ بَيْنَ الْمَوْصُولِ وصفته ويَعْلَمُونَ إِلَى آخِرِهِ يُقَوِّي قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْآيَةَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ لِأَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يعلم أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ. الْمَحْذُوفَةِ، وَالتَّقْدِيرُ يَوْمَ إِذْ تَشْهَدُ.
التعليق: من خلال هذه الآية أوضح المفسر دلالة تنوين العوض في "**يَوْمَئِذٍ** " حيث أنه تضمن جملة الآية السابقة" **يَوْمَ تَشْهَدُ عليهم**" كما بين أن جملة "**وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ** " في عبد الله بن أبي إذ المؤمنون يعلمون في الدنيا والآخرة أن الله هو الحق المبين.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
چ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ	قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَتَصْرِيفُ الْفِعْلِ يَأْبَى أَنْ يَكُونَ مِنْ آنَسَ ،

بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ چ	وَالْوَاوُ فِي وَتُسَلِّمُوا لَا تَقْتَضِي تَرْتِيبًا فَشَرَعَ النِّدَاءَ بِالسَّلَامِ عَلَى الْإِذْنِ لِمَا فِي السَّلَامِ مِنَ التَّفَاؤُلِ بِالسَّلَامَةِ.
التعليق: استشهد أبو حيان برأي "ابن عطية" في دلالة حرف "الواو" على أنها واو عطف وجمع لا تفيد الترتيب؛ إذ لا يمكن أن يكون الاستئناس معزولاً عن السلام فكلاهما سلامة كما يقول ابن عطية.	

الآية القرآنية	التفسير النحوي
چ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ ﴿٣٣﴾ چ	وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ أَيِ الْمُكَاتَبَةَ كَالْعِتَابِ وَالْمُعَاتَبَةِ. مِمَّا مَلَكَتْ يَعُمُّ المماليك الذكور والإناث. والَّذِينَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً وَخَبَرُهُ الْجُمْلَةُ، وَالْفَاءُ دَخَلَتْ فِي الْخَبَرِ لِمَا تَضَمَّنَ الْمَوْصُولُ مِنْ مَعْنَى اسْمِ الشَّرْطِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا كَمَا تَقُولُ: زَيْدًا فَاضْرِبْهُ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ زَيْدًا فَاضْرِبْ، وَزَيْدًا اضْرِبْ، فَإِذَا دَخَلَتِ الْفَاءُ كَانَ التَّقْدِيرُ بِنِيَّةِ فَاضْرِبْ زَيْدًا فَالْفَاءُ فِي جَوَابِ أَمْرٍ مَحْذُوفٍ.
التعليق: وظّفَ المفسر إعراب للجملة في بيان تفسيرها فعدّ جملة والذين يبتغون الكتاب مبتدأ للخبر فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا و"الفاء" تدخل في الخبر مع حصول الشرط ومعناها مكاتبة ما ملكت اليمين إن علم الخير.	

الآية القرآنية	التفسير النحوي
چ تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ چ	قَالَ ابْنُ عِيسَى: جَاءَ بِصِيغَةِ الشَّرْطِ لِتَفْحِيشِ الْإِكْرَاهِ عَلَى ذَلِكَ،

	وَقَالَ: لِأَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى سَبَبٍ فَوَقَعَ النَّهْيُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ انتهى. وعَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا هُوَ مَا يَكْسِبْنَهُ بِالزِّنَا. وَقَوْلُهُ فَإِنَّ اللَّهَ جَوَابٌ لِلشَّرْطِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ التَّقْدِيرَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَهُمْ لِيَكُونَ جَوَابُ الشَّرْطِ فِيهِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى مِنَ الَّذِينَ هُوَ اسْمُ الشَّرْطِ، وَيَكُونَ ذَلِكَ مَشْرُوطًا بِالتَّوْبَةِ. وَلَمَّا غَفَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةَ وَأَبُو الْبَقَاءِ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ قَدَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَهُنَّ أَيْ لِلْمُكْرَهَاتِ، فَعَرِيَتْ جُمْلَةُ جَوَابِ الشَّرْطِ مِنْ ضَمِيرٍ يَعُودُ عَلَى اسم الشَّرْطِ. وَقَدْ ضَعَّفَ مَا قُلْنَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ فَقَالَ: فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَهُنَّ لِأَنَّ الْإِكْرَاهَ يُزِيلُ الْإِثْمَ وَالْعُقُوبَةَ مِنَ الْمُكْرَهِ فِيمَا فَعَلَ، وَالثَّانِي: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِلْمُكْرَهِ بِشَرْطِ التَّوْبَةِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ عَلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ لَا حَاجَةَ لِهَذَا الْإِضْمَارِ. وَعَلَى الثَّانِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ مَنْ لَمْ يُمْعِنْ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ. فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ إِكْراهِهِنَّ مَصْدَرٌ أُضِيفَ إِلَى الْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلُ مَعَ الْمَصْدَرِ مَحْذُوفٌ، وَالْمَحْذُوفُ كَالْمَلْفُوظِ وَالتَّقْدِيرُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ إِيَّاهُنَّ وَالرَّبْطُ يَحْصُلُ بِهَذَا الْمَحْذُوفِ الْمُقَدَّرِ فَلْتُجِزِ الْمَسْأَلَةَ قُلْتُ: لَمْ يَعُدُّوا فِي الرَّوَابِطِ الْفَاعِلَ الْمَحْذُوفَ، تَقُولُ: هِنْدٌ عَجِبْتُ مَنْ ضَرْبِهَا زَيْدًا فَتَجُوزُ الْمَسْأَلَةُ، وَلَوْ قُلْتَ هِنْدٌ عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبٍ زَيْدًا لَمْ تَجُزْ. وَلَمَّا قَدَّرَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي أحد تقدير أنه لهن أورد سؤالا فَإِنْ قُلْتَ: لَا حَاجَةَ إِلَى تَعْلِيقِ الْمَغْفِرَةِ بِهِنَّ لِأَنَّ الْمُكْرَهَةَ عَلَى الزِّنَا بِخِلَافِ الْمُكْرَهِ عَلَيْهِ فِي أَنَّهَا غَيْرُ آثِمَةٍ قُلْتُ: لَعَلَّ الْإِكْرَاهَ كَانَ دُونَ مَا اعْتَبَرَتْهُ الشَّرِيعَةُ مِنْ إِكْرَاهٍ بِقَتْلٍ أَوْ بِمَا يُخَافُ مِنْهُ التَّلَفُ أَوْ ذَهَابُ الْعُضْوِ مِنْ ضَرْبٍ عَنِيفٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى يَسْلَمَ مِنَ الْإِثْمِ، وَرُبَّمَا قَصَّرَتْ عَنِ الْحَدِّ الَّذِي تُعْذَرُ فِيهِ فَتَكُونُ آثِمَةً .

	وَهَذَا السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ مَبْنِيَّانِ عَلَى تَقْدِيرِ لَهُنَّ.
التعليق: ذكر المفسر الخلاف النحويٌّ في مسألة إكراه الفتاة على الزنا والنهي عنه والذي جاء بصيغة الشرط أي؛ إن أردن تحصناً فلا تُكرهّهن على الزنا، مما يستفادُ منه مضاعفة حكم الكراهة في إكراه الفتيات على الزنا .	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	النّور: إمّا على أنه بمعنى اسم الفاعل أي منوّر السموات والأرض ، ويحتمل أن يجعل نوراً على سبيل المدح ، كما قالوا فلان شمس البلاد ونور القبائل وقمرها ، وهذا مستفيض في كلام العرب وأشعارها.
التعليق: نلاحظ من خلال الإعراب؛ إعراب اسم الفاعل بيّن معنى هذه الآية أن الله منوّر السموات والأرض.	

الآية القرآنيـــــــــــة	القاعدة النحوية
﴿زَيۡتُونَةٖ ﴾	(بدل من) شَجَرَةٍ (وجّوز بعضهم فيه أن يكون عطف بيان ، ولا يجوز على مذهب البصريين لأن عطف البيان عندهم لا يكون إلاّ في المعارف ، وأجاز الكوفيون وتبعهم الفارسي أنه يكون في النكرات .
التعليق: أورد أبو حيان هنا مذهب البصريّين والكوفيون ومن تبعهم في كون أن زيتونة بدل من شجرة أوهي عطف بيان واختار أنها بدل من شجرة .	

الآية القرآنيـــــــــــة	القاعدة النحوية
﴿غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾	الجملة حالية معطوفة على حال محذوفة أي) يَكَادُ زَيْتُهَا يضيء (في كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي أنه لا يضيء لانتفاء مس النار له ، وأن هذا العطف إنما يأتي مرتباً لما كان لا ينبغي أن يقع لامتناع الترتيب في العادة وللاستقصاء حتى يدخل ما لا يقدر دخوله فيما قبله نحو: أعطوا السائل ولو جاء على فرس، ردوا السائل ولو بظلف محرق
التعليق: بين في هدا الموضع مدى ارتباط الجملة الحالية التي هي: **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ** بشرط تحققها امتناع مس النار لها.	

الآية القرآنيـــــــــــة	القاعدة النحوية
﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾	في بُيُوتٍ (مستأنف والعامل فيه) يُسَبّحُ (حكاه أبو حاتم وجوزه الزمخشري . فقال : وقد ذكر تعلقه بكمشكاة قال : أو بما بعده وهو) يُسَبّحُ (أي) يُسَبّحُ لَهُ (رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي (أي سبحوا في بيوت. قاله بعضهم أو في موضع الصفة لزجاجة ، وعلى هذه الأقوال الأربعة لا يوقف على قوله) عَلِيمٌ).
التعليق: أورد أبو حيان الاختلاف في المحل الإعرابي لجملة " **فِي بُيُوتٍ** " أهي ظرف في جملة تامة مع عدم الوقف، أم محلها الإعرابي مبتدأ مأخر لجملة استأنافية تقدير ذلك في بيوت يسبح له فيها.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾	اللام متعلّقة بمحذوف أي فعلوا ذلك " ليجزيهم " ويجوز أن تتعلق بيُسبِح وهو الظاهر .
التعليق: تطرق أبو حيان إلى وظيفة "الام" في هذه الكلمة وبماذا تتعلق ورّجح بأنها تتعلق بيُسبِح، وهي لام الجزاء.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾	ويحتمل الضمير أن يعود على العمل الذي يدل عليه قوله: أعمالهم.
التعليق: الضمير في يجده يعود على الظمآن الذي ضُرب به المثل ويعني به أعمال الذين كفروا.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾	والعطف ب" أو" هنا لأنه قصد التنويع والتفصيل لا أن "أَو" للشك . وقال الكرماني:" أَو" للتخيير على تقدير شبه أعمال الكفار بأيهما شئت .
التعليق: يتكلم المفسر عن وظيفة " أو" هل هي لعطف تفصيل أو عطف شك أو عطف تخيّير فتعمل عمل أم.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾	فأَمَّا الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ فَيَعُودُ إِلَى مَذْكُورٍ حُذِفَ اعْتِمَادًا عَلَى الْمَعْنَى تَقْدِيرُهُ إِذَا أَخْرَجَ مَنْ فِيهَا يَدَهُ.
التعليق: يوضح أبو حيان في هذه الآية المعنى المحذوف المقدر في ضمير الغائب المقترن ب" يده".	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ﴾	بالرفع على تقدير خبر لمبتدأ محذوف، أي هذه أو تلك ظلمات.
التعليق: تطرق المفسّر لبيان هذه الآية إلى إعرابها حيث بين بالإعراب دلالتها ومعناها.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾	وقال الزمخشري وابن عطية : هي للتبعيض فيكون على قولهما في موضع المفعول لينزل . قال الحوفي و الزمخشري والثانية للبيان. فيكون التقدير وينزّلُ من السماء بعض جبال فيها التي هي البرد.
التعليق: يُبيِّن هنا أبو حيان الفرق بين " مِنْ " و" مَنْ " في تفسير هذه الآية وذلك لدلالة التجزئة والتبعيض.	
الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ﴾	متعلق بخلق، و" من " لابتداء الغاية، أي ابتدأ خلقها من الماء.
التعليق: استشهد المفسر بمعنى حرف من حيث تفيد غاية ابتداء الخلق.	

الآية القرآنيـــــــــــة	التفسير النحوي
﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾	" أم " هنا منقطعة والتقدير: بل ارتابوا بل أيخافون وهو استفهام توقيف وتوبيخ.
التعليق: هنا تطرق المفسّر إلى معنى حرف " أم " أهي تفيد التوقيف فيكون المعنى الثاني استفهام. أو تفيد الاستئناف ويكون المعنى إضافة وجمعا وعطفا على المعنى الأول في قلوبهم مرض.	

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة		رقم الآية	الصفحة
الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِنَّ	الفاتحة		01	
اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ إِنَّ	البقرة		02	
اللَّهُ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ ...	آل عمران		07	
اللَّهَ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ	النساء		69	
اللَّهَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ	المائدة		06	
اللَّهَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ... إِنَّ	الأنعام		82	
اللَّهَ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ اللَّهِ ... إِنَّ	يونس		62	
اللَّهَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ إِنَّ			63	
			[الفرقان: 25	
اللَّهَ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا إِنَّ				
اللَّهَ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ إِنَّ	[الروم 18]			
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ	2. [لقمان 31]			
			[فاطر: 35]	

ٱللَّهَ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ... إِنَّ	29
ٱللَّهَ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥٓ إِنَّ	28 [الزخرف: 43]
ٱللَّهَ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ إِ	03 ص 38] [محمد 47]
ٱللَّهَ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ إِ	24
[المزمل 73]	
ٱللَّهَ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا إِ	04
[الماعون:107]	
ٱللَّهَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ إِ	05

فهرس الأحاديث ا لـــنبـــويّـــة

طرف الحديث	رقم الصفحة
« ا هم فقـ ه في ا يز . .	07
« فيكشف الحجاب فما أ د و شيئ ...	10
« ليس ذلك ، إ ما هو الشرك ...	06

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	رقم الصفحة
إبراهيم بن محمد القيسي (697-772ه): السفاقسي المالكي.	31
خليل بن أبيك الصفدي (696-764ه).	29
محمد بن أحمد أبو القاسم (693-741ه).	02

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الكتب

1. أثير الدين أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
2. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ط1، 2001م.
3. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993م.
4. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
5. أحمد الادنوري، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان الجزري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1997م.
6. أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ط1، 1988م.
7. إبراهيم محمد بن السفاقسي، المجيد في إعراب القرآن الكريم، ابن الجوزي ط1، 1430هـ.
8. إبراهيم السامرائي، المدارس النحويّة أطورة وواقع، دار الفكر، عمان، ط1 1987م.
9. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م.
10. تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، دار هجر، ط2، 1413هـ.

1. تقي الـ ين ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، 995 م.
2. تقي الدين بن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، مكتبة الحياة، بيروت 980 م.
3. تقي الدين ابن القاضي شهبه، طبقات الشافعية، تحقيق: حافظ عبد العليم عالم الكتب، بيروت، ط ، 407 ه.
4. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغويّة وأسلوبية للنص القرآني عالم الكتب، القاهرة، ط، 993 م.
5. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بعناية: خالد العطار، دار الفكر، بيروت، ط ، 003! م
6. جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تـ قيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.
7. جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ، 975 .
8. خضر موسى محمد محمود، النحو والنحاة المدارس والخصائص، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ، 003! م.
9. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط5 ، 002! م .
0!. الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد بسيوني طنطا، ط ، 999 .
1!. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط ، 412 .
2!. سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو العربي ، مكتبة الفلاح، مصر .
3!. شمس الدين ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره أول مرة 351 .
4!. صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط4! ، 000! م.

25. صلاح الدين الصّفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبي يزيد وآخرون، دار الفكر، بيروت، ط ، 998 م.
26. صلاح الدين الصفدي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ، 973 م.
27. صلاح الدين الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، دار الـ ب العلمية، بيروت، ط ، 007! م.
28. عبد الرحمن بن خلدور ، مقدمة ابن خلدون، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ، 010! م.
29. عبد العالي سالم مكر ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي الجراح الصباح، الكويت، ط! ، 978 م.
30. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زملي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط ، 995 م.
31. عثمان ابن جني، الخصائص، تحق ق: محمد علي النجار، الهيئة المصريّة العامة، ط! .
32. محمد أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ، 005! م.
33. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 955 م.
34. محمد بن آجُّروم، متن الآجروميَّة، دار الإمام مالك، الجزائر، ط ، 002! م.
35. محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالي، دار الأرقم، بيروت، ط ، 416 . .
36. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق:محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ، 000! . .
37. كر، مؤسسة الرسالة، ط ، 000! م.

38. محمد بن الحسن ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ، 991 .
39. محمد بن صالح العثيمين، أصول في التفسير، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، ط ، 001 .
40. محمد بن صالح العثيمين، تفسير العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ، 002 .
41. محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، دروس صوتّية تفريغ موقع الشبكة الإسلامية، الدرس0 .
42. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ، 414 .
43. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة .
44. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى اللّغوي الدلالي، دار الشروق ، القاهرة، 001 .
45. محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت .
46. محمد عبد العزيز النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، مؤسسة الرسالة، ط ، 001 .
47. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، 997 م.
48. محمد الطنطاوي، نشأة النحّو وتاريخ أشهر النحّاة، دار المعارف، القاهرة، ط .
49. محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ، 986 .
50. مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، دار ابن جوزي، ط ، 427 .

51. مساعد الطيار، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، دار المحدث، السعودية، ط ، 425 م.
52. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
53. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط ، 000 م.
54. ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، بيروت، ط ، 003 .
55. نجيب محمود الزبيدي، الجهود النحويّة للشيخ العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط ، 008 م.
56. نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد السعودية، ط ، 009 .

ثالثاً: الدراسات والرسائل الجامعية

1. أحمد خالد شكري، أبو حيان الأندلسي و منهجه في تفسير البحر المحيط وإيراد القراءات فيه، رسالة ماجستير، دار عمار، الجامعة الأردنية، ط ، 007 م.
2. دينا محمد بن حمود الحارثي، اللغات العربية في تفسير البحر المحيط – الجانب النحوي – ، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية.
3. عبد العزيز بن مطلك الدميلي، الدراسات اللغويّة والنحويّة في البحر المحيط، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة بغداد، 992 م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
ملخص البحث	
مقدمة	أ – د
الفصل الأول: التفسير القرآني وعلم النحو	
أولا: مفاهيم عامة للتّفسير القرآني	02
1- تعريف التّفسير: لغة	02
اصطلاحا.....	02
2- تعريف التأويل:لغة	03
اصطلاحا	03
3- أهمّية التّفسير والحاجة إليه.....	05
4- نشأة التّفسير وتطوره.....	06
5- أقسام التّفسير:.....	08
أ: باعتبار معرفة الناس له:.....	08
ب: باعتبار طريق الوصول إلينا.....	08
6- مصادر التفسير:.....	09
أ:القرآن الكريم.....	10
ب: النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.....	10
ج: النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم.....	11
د: الأخذ بمطلق اللغة.....	11
ه: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع.	11
ثانيا: مفاهيم عامة لعلم النّحو.....	12

1- تعريف النّحو: لغة.....	12
اصطلاحا.....	12
2- أهمّية علم النّحو والحاجة إليه.....	13
3- نشأة علم النّحو.....	14
ثالثا: حاجة التفسير للدراية بعلم النحو.....	15
الفصل الثاني: توظيف أبي حيان لقواعد النحو في سورة النور	
أولا: نبذة عن المؤلِّف والمؤلَّف.....	26
1. نبذة عن حياة المفسّر أبي حيان.....	26
2. قراءة وصفيّة لتفسير البحر المحيط.....	30
3. منهج أبي حيان في الكتاب.....	32
ثانيا: توظيف أبي حيان قواعد النحو في تفسير سورة النور...	33
خاتمة	43
فهرس الآيات القرآنية	
فهرس الأحاديث النبوية	
فهرس الأعلام المترجم لهم	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	